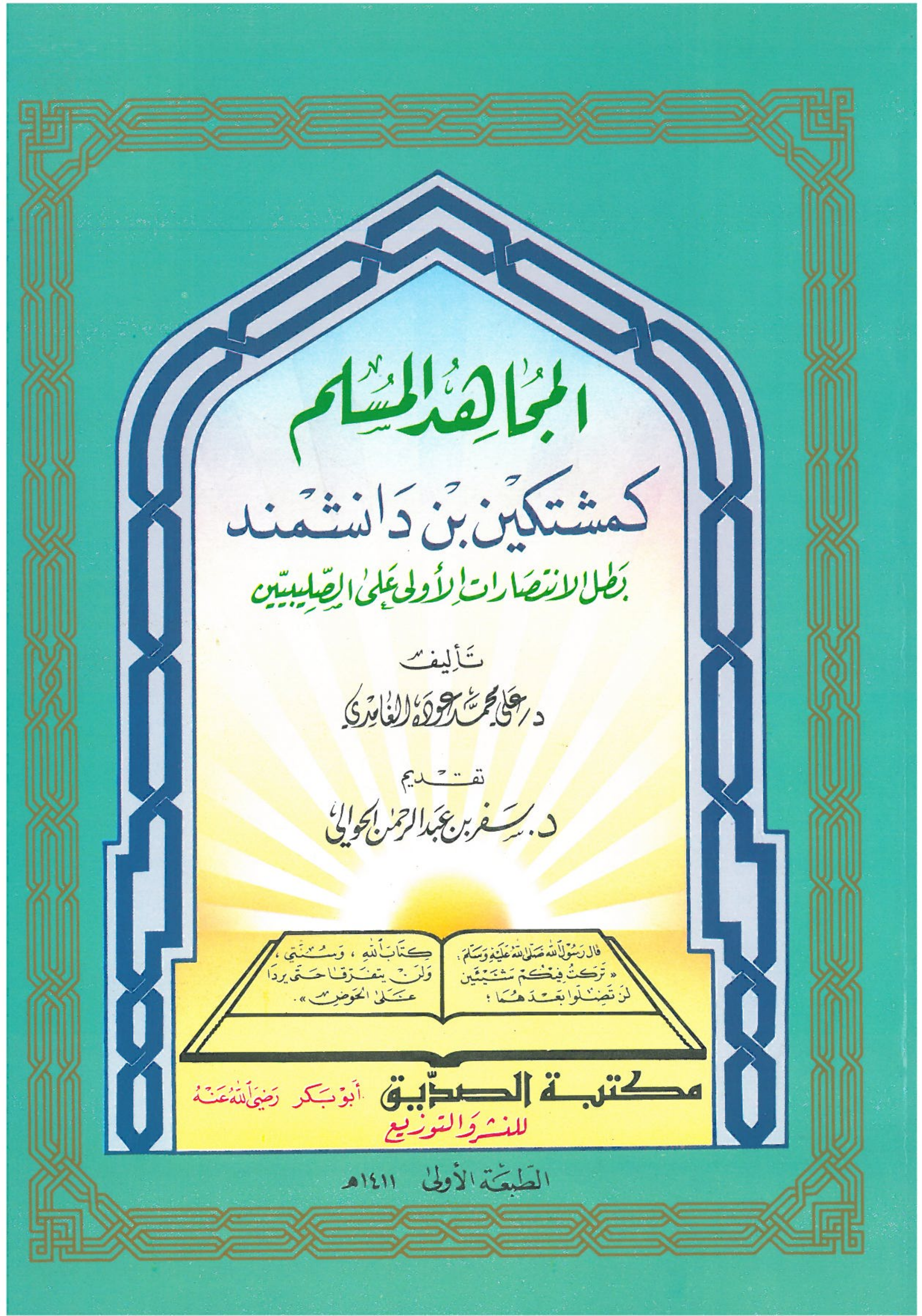
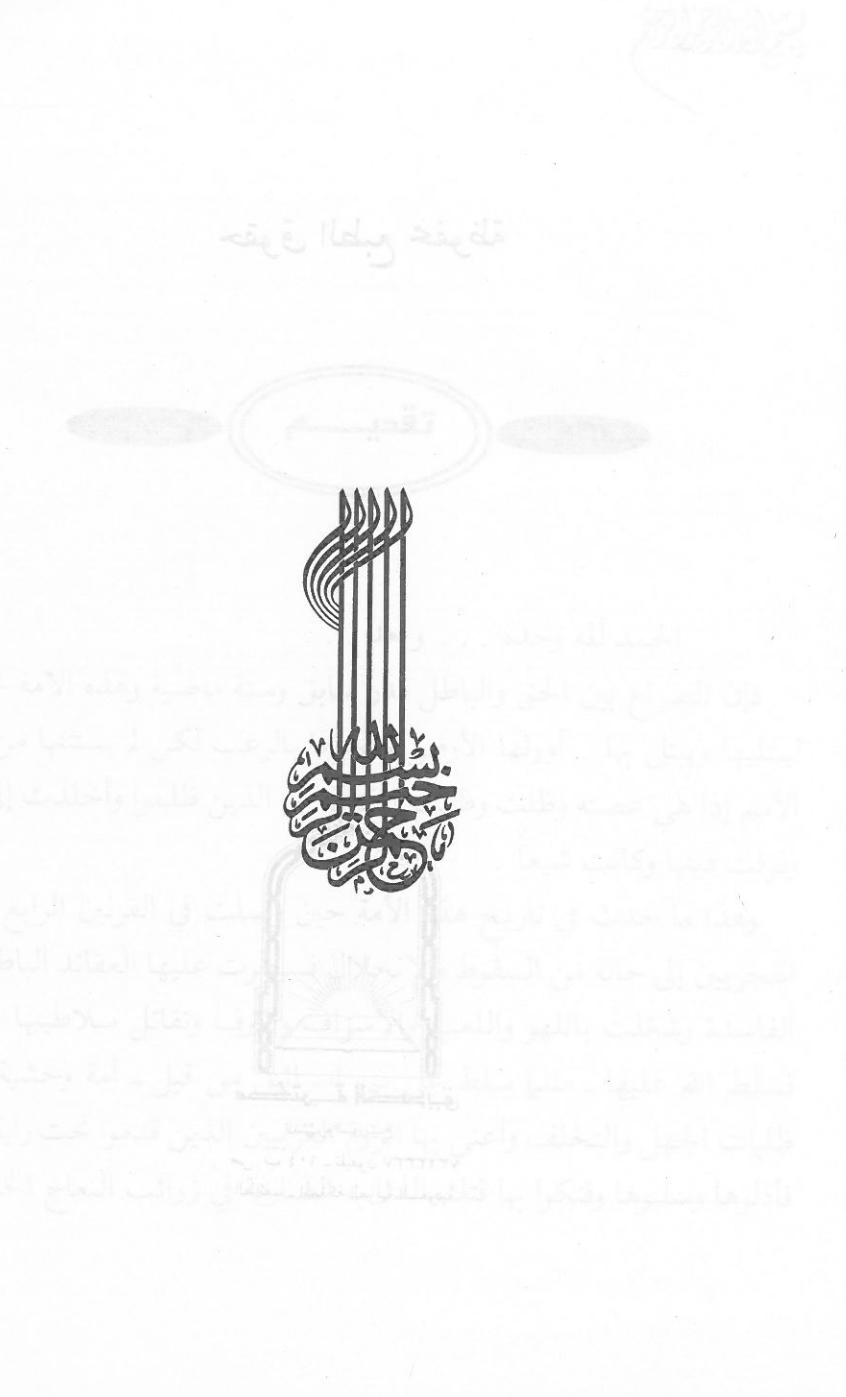
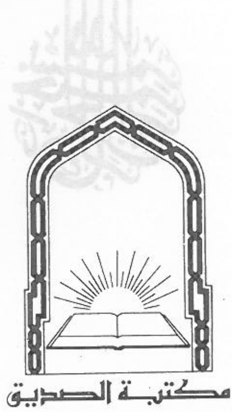


المجاهد المسلم
كمشتكين بن دانشمند
بطل الانتصارات الأولى على الصليبيين
تأليف
د/ علي محمد عوده الغامدي
تقديم
د. سفر بن عبد الرحمن الحوالي
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله، وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض ».
مكتبة الصديق أبو بكر رضي الله عنه
للنشر والتوزيع
الطبعة الأولى ١٤١١هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة



مكتبة الصديق
للنشر والتوزيع
ص. ب ١٠٤ ـ تليفون ٧٣٢٣٣٣٧
الطائف ـ المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم



الحمد لله وحده . . . وبعد . . .

فإن الصراع بين الحق والباطل قدر سابق وسنة ماضية وهذه الامة خلقها الله ليبتليها ويبتلى بها . أورثها الأرض ونصرها بالرعب لكن لم يستثنها من سنته في الأمم إذا هي عصته وظلت وطغت وركنت إلى الذين ظلموا وأخلدت إلى الأرض وفرقت دينها وكانت شيعاً .

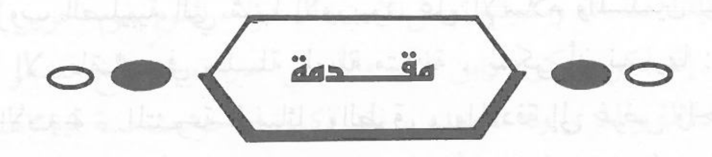
وهذا ما حدث في تاريخ هذه الأمة حين وصلت في القرنين الرابع والخامس الهجريين إلى حالة من السقوط والإنحلال فسيطرت عليها العقائد الباطلة والبدع الفاسدة وشغلت باللهو واللعب والاسراف والترف وتقاتل سلاطينها على الدنيا فسلط الله عليها ـ مثلما سلط على بني اسرائيل من قبل ـ أمة وحشية غارقة في ظلمات الجهل والتخلف وأعنى بها الروم الغربيين الذين قدموا تحت راية الصليب فأذلوها وسلبوها وفتكوا بها فتك الذئاب الضارية في زرائب النعاج الخاوية .

ولكن سنة الله تعالى تعود من جديد لتظهر صفحات مشرقات في تاريخ الجهاد والدعوه ﴿ **وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم** ﴾ خلال هذه المعركة الأبدية العالمية يبزغ فجر جديد على يد دعاة مجهولين وما كانت الدعوه إلى الله في كل عصر ومصر إلا أساس الخير والنصر والبركة دعاة غمرهم التاريخ ولكن لن يضيع رب العالمين أجرهم وقد أراهم عاجل بشراهم في الحياة الدنيا فقد دخل في الإسلام على أيديهم قبائل عظيمة من الترك ، أمة فتية خشنة سليمة الفطرة صادقة العزيمة لم توهنها الشهوات ولم تستهوها المغريات ، فهي على حالة شبيهة بحال أمة العرب عند طلوع شمس الرسالة الخالدة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

وهناك في أرض الملاحم والبطولات وملتقى الأطماع ومصطرع الحضارات كانت وقائع المنازلة بين جيوش الصليب التي يقودها ملوك أوربا المتعطشين أبداً إلى دماء المسلمين وبين هذه الأمة المؤمنة الصاعدة وكانت الانتصارات التي ضن التاريخ عليها نحوا مما ضن على الدعاة المؤسسين غير أن الباحث المثابر الذي تحدوه روح الإخلاص والتضحية كما هو شأن أخي الدكتور علي - ولا أزكي على الله أحداً - يستطيع أن يجمع من حبات اللؤلؤ المتناثرة عقداً متناسقاً وأن يجمع من صفحات التاريخ المتوارية سفراً ناصعاً ، هكذا فعل ، وهكذا ظهرت هذه الكتابة التاريخية الموثقة ونحن أحوج ما نكون إلى مثلها فما أشبه الليلة بالبارحة وإن كانوا ليقولون إن التاريخ يعيد نفسه ونحن نقول إنها سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلا ، فجدير بنا أن نقرأ جولة من جولات أمتنا في معركتها الأبدية ونطلع على تجربة من تجاربها الطويلة مع العدو الأبدي اللدود ، لنأخذ الدروس والعبر ونشحذ العزائم والهمم وصدق الله تعالى إذ يقول ﴿ **وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً** ﴾ ويقول ﴿ **ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز** ﴾ والحمد لله رب العالمين .

سفر بن عبدالرحمن الحوالي

مكة المكرمة في ١٥/١٢/١٤١٠هـ



مقدمة

الحمد لله العظيم ، الملك الواحد ، الفرد الصمد ، مصرف الخلائق بين رفع وخفض ، وبسط وقبض ، واماتة واحياء ، وايجاد وفناء ، يؤتى الملك من يشاء ، وينزعه ممن يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير. وأصلي وأسلم على رسوله محمد نبي الهدى ، المبعوث إلى جميع الأمم ، وعلى آله وأصحابه ، أعلام الورى ، ومصابيح الدجى ، صلى الله عليه وعليهم وسلم .

وبعد ، فإن الجهاد في سبيل الله من أجلّ الفرائض وأقرب الأعمال إلى الله تعالى . وهو ذروة سنام الإسلام ، وروح هذه الأمة ، ولن يتحقق التوحيد الخالص لله تعالى في سائر أرجاء الأرض إلا بإقامة فريضة الجهاد ، لأنه لا يمكن تحطيم جميع العقبات والعوائق التي تعترض طريق الإسلام إلا بالجهاد في سبيل الله . وهذا ما فعله رسول الله ﷺ ، وأصحابه الكرام رضوان الله عليهم ، والمسلمون من بعدهم . والحقيقة الكبرى ، أو الدرس الماثل ، أمام الأمة الإسلامية عبر تاريخها الطويل ، أنه كلما إرتقى المسلمون في تطبيق منهج الإسلام في واقع حياتهم ، وأقاموا فريضة الجهاد ، تحقق لهم النصر على الأعداء ، وتحققت لهم العزة والكرامة والازدهار . وكلما ارتكسوا وتقاعسوا وتهاونوا عن تطبيق ذلك المنهج العظيم ، وتركوا فريضة الجهاد ، حلت بهم الهزيمة ، وذهبت ريحهم ، وتمزقت صفوفهم ، وتبعثرت وحدتهم ، وطمع فيهم عدوهم . وتتناسب درجات النصر والهزيمة تناسباً طردياً تبعاً لمستويات الأرتقاء في تطبيق دين الله تعالى والجهاد في سبيله ، أو الارتكاس والبعد عنه .

والحـروب الصليبية التي شنها الأوربيون على الإسلام والمسلمين ليست في حقيقتهـا إلا حلقـات في سلسلة طويلة متمادية ، يمكن أن نسميها : الحرب العـالمية الأبـدية ، المتنـوعة الوسائل والطرق ، والهادفة إلى غرض واحد ، هو القضاء على الإسلام وأهله . وهي الحرب التي أثارتها اليهودية والنصرانية ضد الإسلام منذ ظهوره ، وستظل هذه الحرب قائمة حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

والمتـأمـل في تاريخ الأمة الإسلامية قبل الحملة الصليبية الأولى بنحو قرن ونصف من الـزمان يلحظ سنة الله التي لا تتبدل في هذه الأمة ، قال تعالى : ﴿ **وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم** ﴾ ، فخلال القرن الرابع الهجـرى ، إرتكس المسلمون عن منهج الله الذي إختاره لهم ، وتقاعسوا عن إقامة فريضة الجهاد الأمر الذي أتاح الفرصة لحركات القرامطة والباطنية للظهور دون أن تجد من يتصدى لها ، فسيطر القرامطة على شمال شرق الجزيرة العربية وهاجموا بيت الله الحرام وارتكبوا فيه مذبحة مروعة ونزعوا الحجر الأسود وشنوا غارات مدمرة على الشام والعراق ، وعاثوا فساداً في سائر هذه البلاد . كما قامت الـدولـة العبيدية المسماة بالفاطمية في المغرب الإسلامي ، وعملت على تحويل طاقـات القبائل البربرية من ميادين الجهاد والرباط في جنوب القارة الأوروبية لتنقلب مغيرة مدمرة على قلب العالم الإسلامي في مصر والشام . وبسبب تقاعس المسلمين وتخاذلهم وخورهم في هذه البلاد إنتشر المذهب الإسماعيلي الباطني بين أغلبية السكان الذين أصبحوا يدينون بهذا المذهب الهدام . ومن الناحية الأخرى أخـذت الدولة البيزنطية (دولة الروم) منذ منتصف القرن الرابع الهجري زمام المبادرة وبدأت حملات ضخمة إستولت بها على جميع الثغور الإسلامية في بلاد الشـام والجـزيرة وأرمينية ، فضـاعت تلك الثغـور المهمـة ، والتي سطر فيهـا المجاهدون المسلمون بدمائهم صفحات مجيدة على مدى ثلاثة قرون . وأصبح أبـاطرة الروم وقوادهم يجوسون خلال ديار المسلمين بجيوشهم الجرارة في بلاد الشام والجزيرة وأعالي العراق دون أن يجدوا من يقف أمامهم .

وهنا تبدأ سنة الله ومشيئته تعمل لأستبدال هؤلاء القوم بقوم آخرين لا يكونوا أمثالهم . إذ يذكر مسكويه وابن الأثير والذهبي خبراً موجزاً بالغ الصغر ، إلا أنه عميق الدلالة والمغزى وله ما بعده ، فقد ذكروا في حوادث سنة ٣٤٩هـ ما نصه (وفيها أسلم من الأتراك نحو مائتي ألف خركاه)(١) والخركاه معناها الخيمة ، وكانت كل خيمة تضم أسرة واحدة على الاقل ، أي نحو مليون نسمة ، وهذا يعني أن سنة ٣٤٩هـ سنة فاصلة في إعتناق الأمة التركية للإسلام . حقيقة أن العالم الإسلامي عرف الأتراك قبل هذه السنة ، وجرى تجنيد عدد منهم في الجيش زمن المعتصم ، ولكن هؤلاء كانوا يجلبون غلماناً صغاراً وينشأون داخل المجتمع الإسلامي ويدربون تدريباً عسكرياً ويتلقون تعليماً إسلامياً ، حيث تشكلت منهم فرق في الجيش العباسي ، وهيمنوا في بعض الأوقات على الخلافة ، وأسس بعضهم دولاً خاصة بهم . ولكن تحول الأمة التركية إلى الإسلام لم يحدث بشكل كثيف إلا بدءاً من هذه السنة (٣٤٩هـ) . وهذا الخبر المقتضب يخفي وراءه جهوداً جبارة ومخلصة قام بها عدد من الدعاة ، لم يحفظ التاريخ - ويا للأسف - اسماءهم ، لأنه لا يمكن أن تدخل أمة بمثل هذا العدد في الإسلام من فراغ . ولعل عدم حفظ التاريخ لأسماء أولئك الدعاة المجهولين وجهودهم زيادة في موازين حسناتهم يوم يلقون ربهم .

ومهما يكن من أمر فقد بدأ اعتناق الأتراك للإسلام بشكل كبير منذ منتصف القرن الرابع الهجري ، وكان اعتناقهم للإسلام على مذهب أهل السنة . وهكذا حولهم الإسلام من أمة بدوية منسية تعيش على هامش التاريخ إلى أمة تعيش - بالإسلام - في مركز التاريخ العالمي ولتقوم بدور حاسم في تشكيله لأكثر من ثمانية قرون ، وليحمل الأتراك المسلمون لواء الجهاد أمام العالم النصراني خلال تلك القرون . وقد نجم عن اعتناق الأتراك للإسلام قيام دولة السلاجقة السنية التي بلغت ذروة قوتها في منتصف القرن الخامس الهجرى ، وحكمت من بلاد ما وراء النهر شرقاً إلى البحر المتوسط غرباً . وعملت على اجتثاث التشيع من بلاد فارس

---

(١) مسكويه : تجارب الأمم ، ١٨١/٢ ؛ ابن الأثير : الكامل ٥٣٢/٨ ؛ الذهبي : دول الإسلام ٢١٥/١ .

والعراق والشام ونشرت مذهب أهل السنة بحيث غدا مذهب الأكثرية في هذه المناطق ، وتقوقعت الطوائف الباطنية الملحدة في المناطق الوعرة والمنعزلة . كما حاربت دولـة السـلاجقة الاعتزال والفلسفة . وحمل المسلمون السلاجقة راية الجهاد ضد البيزنطيين واستعادوا منهم هضبة أرمينية ، وأنزلوا بالجيش البيزنطي هزيمـة ساحقـة في معركة ملاذكرد سنة ٤٦٣هـ . ثم استعادوا من البيزنطيين معـظم الثغـور الشامية والجزرية التي احتلوها أبان ضعف المسلمين في القرن السابق . بل وفتحوا آسيا الصغرى لأول مرة في التاريخ الإسلامي ، فدخلت هذه البـلاد في دين الله الحق ، وتحـولت من الحضـارة اليونـانية النصرانية إلى الحضارة الإسلامية ، ووصل المسلمون السلاجقة في فتوحاتهم ضفاف بحر مرمرة وفتحوا سنة ٤٦٧هـ مدينة نيقية ـ المدينة المقدسة في عالم النصرانية ـ وبلغت دولة السلاجقة أوج قوتها وازدهارها زمن السلطان ملكشاه (٤٦٥ ـ ٤٨٥هـ) . ولو قدر للحملة الصليبية الأولى القدوم في عهد ملكشاه لما نجحت في الوصول إلى بلاد المسلمين . ولكن وفاة السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥هـ أدت إلى وقوع الحرب الأهلية بين أمراء البيت السلجوقي فتمزقت الوحدة السياسية للدولة السلجوقية الأمر الذي مكن الحملة الصليبية الأولى من العبور إلى آسيا الصغرى وحققت إنتصارات سريعة على المسلمين في آسيا الصغرى ، ثم وصل الصليبيون إلى بلاد الشام وحاصروا انطاكية واستولوا عليها ثم هزموا جيوش المسلمين التي قدمت لنجدة انطاكية واستولى الصليبيون على المعرة ثم ساروا جنوباً حتى احتلوا بيت المقدس سنة ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م .

ولقد جاءت انتصارات الصليبيين السريعة والحاسمة غمة على المسلمين ، أدت إلى قنوطهم وفزعهم ، بحيث سكن الخوف في أعماق نفوسهم ، وأصبح المسلمون في أشد الحاجة إلى قادة رواد يخرجون من بين ركام الهزيمة ، فيقتلون ـ أولاً ـ الخوف في أعماق النفس ويتقدمون بجرأة وبسالة فيحملون راية الجهاد ، فيقاتلون الصليبيين ، لا تخيفهم قوة العدو ، وهم يدركون أن مصيرهم لن يعـدو إحـدى الحسنيين ، أما الظفر وأما الشهادة . وكان أول أولئك الرواد وأكثرهم إقداماً وشجاعة ، هو القائد التركي كمشتكين بن دانشمند ، الذي قهر بطل

الحملة الصليبية الأولى بوهمند النورماني وأخذه أسيراً ذليلاً حقيراً إلى عاصمته ، وقضى على ثلاث حملات صليبية كبرى ، جردتها أوربا النصرانية في أعقاب الحملة الأولى ، وكان لإنتصارات كمشتكين بن دانشمند نتائج بعيدة المدى أوضحها البحث بالتفصيل .

ومما يؤسف له أن كمشتكين بن دانشمند لم ينل من المؤرخين المسلمين العناية التي يستحقها ، فلا توجد له ترجمه في جميع كتب التراجم المعروفة . وما أوردته كتب الوقائع عنه لا تتعدى صفحة واحدة . ولعل وقوع أمارته في آسيا الصغرى بعيداً عن بلاد الشام والعراق حال بين المؤرخين المسلمين في هذه البلاد وبين معرفة أخباره بالتفصيل . ولقد بذلت جهداً مضنياً في تتبع جهاده في المصادر والمراجع النصرانية التي أوردت بالتفصيل قصة حشد تلك الحملات الثلاث الكبيرة وسيرها من أوربا إلى آسيا الصغرى وهزيمتها على يد كمشتكين بن دانشمند هذا مع العلم أن تلك المصادر والمراجع تعرض كل أخبارها ورواياتها معبرة عن وجهة النظر النصرانية الصليبية ، الأمر الذي إستلزم تحقيق جميع تلك الروايات ونقدها ، واستنتاج الحقائق منها ومناقشتها وتحليلها ، وعرضها من وجهة النظر الإسلامية الموضوعية . وقد أبرزت جهاد ذلك البطل المغمور كمشتكين بن دانشمند وإنتصاراته وما تمخض عنها من نتائج . وأعتذر عن أي تقصير فالكمال لله تعالى وحده ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

كتبه الفقير إلى عفو ربه

د. علي محمد علي عودة الغامدي

كمشتكين بن دانشمند
بطل الأنتصارات الأولى على الصليبيين

قيام دولة بني دانشمند :

من الحقائق المسلم بها في تاريخ الحروب الصليبية أن التركمان المسلمين قاموا بدور كبير في جهاد الصليبيين . ويرجع الفضل إليهم في تحقيق الكثير من الأنتصارات على الصليبيين ، ويعتبر كمشتكين بن دانشمند التركماني أول قائد مسلم يحقق إنتصارات كبرى على الصليبيين .

يذكر المؤرخون أن اسم والده طايلو التركماني وإنما قيل له دانشمند لأنه كان معلماً لأبناء التركمان(١) . وأنه كان مع قومه التركمان يسكنون بعض المناطق بنواحي أذربيجان واران(٢) ، ويغيرون على بلاد الكفار حتى جاء السلطان السلجوقي الب أرسلان في سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م إلى أذربيجان عازماً على غزو الروم والكرج ، فالتحق به إمراء التركمان مع قبائلهم وضمنهم الأمير دانشمند طايلو ، فدلوه على طرق ومجاهل بلاد الكفار ، فزادت مكانة الأمير دانشمند طايلو عند السلطان الب أرسلان لما رآه منه من آثار العقل والشجاعة والشهامة والحماسة للإسلام . وبعد إنتصار السلطان على البيزنطيين في معركة ملاذكرد

---

(١) أحمد بن لطف الله المولوى : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٩٤أ ؛ ابن الأثير : الكامل ١٠/٣٠٠ ؛ أبو الفدا : المختصر ٢/٢١٢ ، والتركمان : هم قبائل الأتراك الرحل .

(٢) أذربيجان : أقليم واسع يحده من الشرق بلاد الجبل وبلاد الديلم ومن الجنوب بلاد العراق والجزيرة ومن الغرب أرمينية ومن الشمال أران ، ومن أشهر مدنه تبريز وهي قصبة الأقليم ، ومراغه وأردبيل .
انظر : ياقوت : معجم البلدان ، القزويني آثار البلاد وأخبار العباد ص٢٨٤ ـ ٢٨٥ ، أبو الفدا : تقويم البلدان ص٣٨٦ ـ ٣٨٧ ، كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص١٩٣ ـ ١٩٩ ، والخارطة رقم ٣ في كتاب لسترنج ـ
أران : هي ولاية كبيرة تقع شمال غرب أذربيجان ويفصل بينهما نهر كبير يقال له نهر الرس أو آرس وغالبية أهلها نصارى وبها مدن كثيرة أشهرها جنزة وشروان وبيلقان ، انظر : ياقوت : معجم البلدان ، القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ص٤٩٣ ؛ كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص٢١١ .

«مانزيكرت» سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م ، عقد للأمير دانشمند طايلو لواءاً وكلفه بفتح سيواس ، وتوقات ، ونكسار ، والبستان وملطية(١) . وغيرها من بلاد الأناضول ، وأعفى بلاده من جميع التكاليف ، وشرط أن تكون له جميع البلاد التي يفتحها من بلاد الكفار ، وأعطاه موثقاً بأن لا يتعرض أحد من أولاد السلطان لشيء من بلاد الأمير دانشمند ، وكتب بذلك كتاباً وسلمه إليه ثم جهزه بما يحتاجه من المؤن وأرسله إلى تلك البلاد سنة ٤٦٤هـ/١٠٧٢م ، وظل الأمير دانشمند على ولايته يغزو الروم مجاهداً في سبيل الله حتى وفاته سنة ٤٧٧هـ/١٠٨٤م(٢) ، فخلفه ابنه الأكبر كمشتكين المؤسس الحقيقي للدولة الدانشمندية في بلاد الأناضول والذي أخذ يواصل فتوحات والده ففتح في سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م قصطمونية وجانجري(٣) كما انتزع من البيزنطيين ميناء سينوب على ساحل البحر الأسود(٤) . لتكتمل بذلك مقومات الدولة الدانشمندية بعد أن أمتلك ميناءاً هاماً على ساحل البحر، ثم أخذ كمشتكين يرنو ببصره جنوباً

---

(١) **سيواس** : مدينة في آسيا الصغرى تقع شمال نهر هاليس ، وتتميز بحصانتها ، وهي كثيرة الخيرات والثمرات ، وأهلها مسلمون ، ونصارى ، والمسلمون من التركمان ، انظر القزويني ، آثار البلاد ص٥٣٧ ؛ كي لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ص١٧٩-١٨٠ .

وتوقات أو دوقات : بلدة في أرض آسيا الصغرى شمال شرق سيواس ذات قلعة حصينة وأبنية مكينة بينها وبين سيواس مسيرة يومان سيراً على الأقدام ، انظر ياقوت ، معجم البلدان ، كي لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية خارطة رقم ٤ .

ونكسار : تقع شمال شرق توقات حولها بساتين تكثر فيها الفاكهة ، انظر لسترنج ص ١٧٩ وخارطة رقم ٤ في المرجع نفسه .

والبستان أو أبلستين : من بلاد آسيا الصغرى تقع إلى الشرق من قيصرية على مسافة ثمانين ميلاً ، انظر ياقوت ، معجم البلدان ؛ لسترنج ص١٧٨-١٧٩ .

وملطية : من ثغور الجزيرة تحف بها جبال كثيرة وتقع قرب نهر يدعى قباقب وهو أحد فروع نهر الفرات ، ابن شداد ، الأعلاق ، الخطيرة ج١ القسم الثاني نسخة مكتبة الفاتيكان رقم ٧٣٠ ورقة١٧٣ أب .

(٢) أحمد بن لطف الله المولوى : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٩٤أ ؛ محمود الاقسرائي ، مسامرة الأخبار ص١٧-١٨ .

(٣) **قصطمونية** : مدينة عظيمة في آسيا الصغرى تقع إلى الجنوب الغربي من ميناء سينوب ، لسترنج ص١٩١ .

أما جانجرى : وتسميها كتب البلدان خنجره أو غنجرة فتقع إلى الجنوب من قصطمونية في منتصف الطريق تقريباً بينها وبين أنقره ، القزويني ، آثار البلاد ص٥٤٧ ؛ لسترنج ص١٩١ وخارطة رقم٤ في المرجع نفسه .

(٤) The Cambridg History of Islam, vol. IA, Cambridge 1980. pp. 236-237.

فعقد العزم على فتح ملطية الخاضعة للأرمن إلا أن سلطان سلاجقة الروم قلج أرسلان شرع ينافسه في محاولة الاستيلاء عليها(١) .

الحملة الصليبية الأولى :

إستولت الحملة الصليبية الأولى على مدينة نيقية عاصمة سلطان سلاجقة الروم قلج أرسلان سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٧م وسلمها الصليبيون للأمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين طبقاً لإتفاقهم معه ، ثم أنزلوا بالسلاجقة هزيمة أخرى في غرب آسيا الصغرى عند دوريليوم (اسكي شهر) ، بقيادة الأمير الصليبي بوهمند Bohemond النورماني ، الامر الذي أجبر الأتراك السلاجقة على التخلي عن الجزء الغربي من اسّيا الصغرى(٢) . ثم تقدم الصليبيون إلى انطاكية بينما دخل بلدوين البولوني الرها بدعوة من حاكمها الأرمني . وحاصر الصليبيون انطاكية حتى استولوا عليها سنة ٤٩١هـ/١٠٩٨م ثم انزلوا الهزيمة بجيوش المسلمين التي قدمت لنجدة انطاكية . وتقدموا في بلاد الشام حيث قدم لهم بعض الحكام المسلمين الأتاوات المالية خوفاً منهم . وأخيراً أستولى الصليبيون على بيت المقدس سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م وارتكبوا فيه أبشع جريمة عرفها تاريخ الحروب الصليبية ، وهي تلك المذبحة الرهيبة التي راح ضحيتها زهاء سبعون ألفاً من المسلمين ، ثم انزلوا بالفاطميين هزيمة ساحقة عند عسقلان ، ليختتموا بذلك انتصارات ضخمة بسبب ما أصاب المسلمين من خور وانحلال وفرقة وانقسام . ثم بدأ الصليبيون يتوسعون على حساب المسلمين ويستولون على الموانىء والمعاقل والحصون ويوطدون نفوذهم على كل ما ينتزعونه من بلاد المسلمين(٣) .

---

(١) Ibid, vol. IA p. 236; Runciman, Steven: A History of The Crusades, 3 vols, Cambridge, 1968.

(٢) Vasiliev, A.A.: History of Byzantine Empire, 2 vols, Madison 1976, 1978, p. 408; Ostrogorsky, George: History of the Byzantine State, Translated by Joan Hussey, Oxford, 1968, p.364.

(٣) عن هذه الحوادث انظر التفاصيل في ، ابن الأثير : الكامل ١٠/٢٧٢-٢٧٨ ، ٢٨٢-٢٨٦ ؛ ابن القلانسي ص١٣٣-١٣٧ ؛ أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ترجمة حسن حبشي ص٣٨-١٢٥ ؛ السيد الباز العريني : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ص٢٠٥-٢٩٩ ؛ ارنست باركر : الحروب الصليبية ص٣٣-٣٨ .

بوهمند يهدد حلب :

قام الأمير بوهمند Bohemond النورماني بدور حاسم في هزيمة سلاجقة الروم عند دوريليوم (اسكى شهر) وقام بدور أكبر في انتزاع انطاكية من المسلمين وأضحى أميراً على تلك المدينة المهمة بموافقة أمراء الصليبيين الذين كافأوه على جهوده بالتسليم بأطماعه والسماح له بالأنفراد بأمارة انطاكية(١) .

شرع بوهمند ، بعد أن أصبح أميراً على انطاكية ، يعمل على توسيع أمارته عن طريق العدوان على بلاد المسلمين المجاورة ، فوقع خطره على حلب المجاورة لانطاكية من جهة الشرق ، وكان يحكمها الأمير السلجوقي رضوان بن تتش ، إذ تقدم بوهمند في صيف عام ٤٩٣هـ/ ١١٠٠م إلى الضفاف الشرقية لنهر العاصي ، وأستطاع أن يوطد نفوذه في هذه المناطق(٢) . كما حاصر حصن أفامية وأتلف زرعه(٣) . ثم تقدم الصليبيون بقيادة بوهمند نحو حلب والتقوا بجيش رضوان غربي حلب ، فحلت بالمسلمين هزيمة كبيرة ، واستباح الصليبيون معسكر رضوان وقتلوا أعداداً كبيرة من جنوده ، وأسروا نحو خمسمائة نسمه وفيهم بعض الأمراء . وترتب على هذه الهزيمة الكبيرة أن استولى الصليبيون بقيادة بوهمند على كفر طاب ، وبرج الحاضر(٤) ، وسيطروا على معظم المناطق الواقعة

---

(١) عن دور بوهمند في معركة دوريلوم (اسكى شهر) انظر ، أعمال الفرنجة ص٣٨ـ٤٠ وعن دوره في الاستيلاء على انطاكية انظر ، ابن العديم وزبدة الحلب ٢/ ١٣٣ـ١٣٥ .

(٢) Cahen, C: La Syrie du nord al epoque des Croisdes Paris, 1940, p. 288;
Runciman: A History of the Crusades, vol. I p.319.

(٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص١٣٨ ، وأفامية أو فامية بغير همزة من أعمال شيرز ، وهي مدينة حصينة شرقي نهر العاصي إلى الشمال من مدينة حمص . انظر ياقوت : معجم البلدان ؛ أبو الفدا : تقويم البلدان ص٢٦٢ـ٢٦٣ .

(٤) **كفر طاب** : بلدة صغيرة على الطريق بين المعرة وشيرز إلى الجنوب الغربي من حلب ، انظر : ياقوت : معجم البلدان ؛ أبو الفدا : تقويم البلدان ص٢٦٢ـ٢٦٣ .
والحاضر : محلة عظيمة خارج حلب إلى الجنوب الغربي منها ، انظر ياقوت : معجم البلدان .

غربي حلب بحيث لم يبق بيد المسلمين سوى تل منس (١) وجمع الصليبيون المؤن والأسلحـة والعتـاد لحصار حلب ، وقرروا أن يبنوا بعض مشاهد حلب حصوناً لمداومة الحصار على حلب واستغلال ريفها حتى تضعف وتسقط بيد الصليبيين(٢) .

كمشتكين يهزم بوهمند ويأخذه أسيراً :

هذا المخـطط الخـطير الـذي وضعـه بوهمند يكشف مدى الدهاء السياسي والعسكري الذي يتمتع به . إذ أن استيلاؤه على حلب سوف يمكنه من السيطرة على كل شمال الشام الأمر الذي يسهل على الصليبيين تطويق بقية بلدان الشام الباقية بيد المسلمين مثل حمص وحماه ودمشق والاستيلاء عليها بسهولة . كما أن الاستيلاء على حلب سيجعل المنطقة الممتدة من الرها إلى انطاكية منطقة صليبية واحدة . وربما لو تحقق ذلك المخطط الرهيب الذي حاك خيوطه بوهمند لتغير مجرى الحروب الصليبية برمتها ، فمن المعروف أن حلب أضحت بعد ذلك مركز المقـاومة الجادة ، ومنبع الوحدة والجهاد الذي إنطلق لطرد الصليبيين من بلاد المسلمين زمن عماد الدين زنكي وابنه نور الدين . ويعود الفضل في إحباط مخطط بوهمند وانقلاب خططه رأساً على عقب إلى كمشتكين بن دانشمند الذي شرع في ذلك الحين يحاصر ملطية الخاضعة لجبريل الأرمني . وعندما شعر الأخير بخطورة موقفه أمام كمشتكين ، وأنه ليس بمقدوره الصمود طويلا أمام الهجمات الشديدة التي أخذ يشنها كمشتكين بن دانشمند أرسل جبريل من لدنه مبعوثين إلى بوهمند النورماني أمير انطاكية طالباً إليه أن يأتي لنجدته ، وعرض عليه أن يسلمه المدينة طبقاً لشروط محدده لا لبس فيها كما يقول وليم الصوري(٣) . ولم تشر المصادر إلى طبيعة تلك الشروط ، ولكن يبدو طبقاً لنظام الاقطاع الأوربي أن يتسلم بوهمند

---

(١) تل منس : حصن قرب معرة النعمان ، ياقوت : معجم البلدان .

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، ٢/٥٠٧-٥٠٨ .

(٣) William of Tyre : A History of Deeds Done Beyond The Sea. 2 vol, Translated and Annoteted by Emily, Babcok and A.C. Krey, New York, 1976, vol. I p.411.

المدينة من جبريل ثم يعيدها إليه كإقطاع ، ويصبح تابعاً للأمير بوهمند وهو ما يعرف في نظام الأقطاع الأوربي بـ«الألجاء الأقطاعي»(١) .

توجه بوهمند لنجدة جبريل الأرمني ضد كمشتكين بن دانشمند ، وتختلف المصادر إختلافاً شديداً في عدد القوات التي أصطحبها بوهمند . إذ يشير وليم الصوري وفولشر شارتر إلى أنه ذهب بأتباعه الاعتياديين(٢) . بينما يذكر البرت الأخيني أن القوات التي سار بها بوهمند تبلغ ثلاثمائة فارس ، وأتباعهم من الرجالة ، ومن أشهر الفرسان الذين أصطحبهم ابن عمه ريتشارد أمير سالرنو Richard of Salerno ، كما رافقه أسقفا انطاكية ومرعش الأرمنيان(٣) . ويبدو أن مرافقة الأسقفين له دفعت أعداداً كبيرة من الأرمن للإنضمام إليه ، إذ يشير متى الرهاوي إلى أن قواته تتضمن أعداداً من الأرمن(٤) ، نظراً لأنه كان يسكن المنطقة الممتدة من انطاكية إلى ملطية الكثير من الأرمن ، والذين كان لهم دور بالغ الأهمية في مساعدة الصليبيين زمن الحملة الأولى ، بما قدموه لهم من المؤن والعتاد والأرشاد(٥) . أما ابن الأثير فيذكر أن القوات التي سار بها بوهمند لنجدة جبريل الأرمني تبلغ خمسة آلاف رجل(٦) . وعلى الرغم من التباين الظاهر في الأعداد التي أوردتها المصادر ، فيبدو أن بوهمند أصطحب معه بضع مئات من الفرسان كما أشارت معظم المصادر النصرانية . غير أنه من المعروف في نظام الفروسية الأوربية أنه كان يتبع كل فارس عدد من الأتباع المشاة ، يقل أو يزيد حسب

وانظر أيضاً : Matthew of Edessa: Chronicle, Paris 1858, p,231.

حيث يشير إلى أن الذي قام بالتوسط بين بوهمند وجبريل في تسليم المدينة هما سيبريان Cyprian أسقف أنطاكية وجريجورى Gregory أسقف مرعش وهما أرمنيان .

(١) عن الألجاء الأقطاعي أنظر كوبلاند وفينوجرادوف : الأقطاع والعصور الوسطى في غرب أوربا ص٦٦-٦٧ .

(٢) William of Tyre: op. cit. vol. I p. 411;

Fulcher of Charteres: A History of Expedition to Jerusalem, Knoxville. 1969, p. 135.

(٣) Albert of Aix: Liber Christianae Expeditionis in R.H.C. occ. Iv, pp. 524-525.

ومرعش : من ثغور بلاد الشام الشمالية التي تلي جبال اللكام بينها وبين انطاكية ثمانية وسبعون ميلاً ، انظر ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، ج١ القسم الثاني ورقة ١٧٠ أب ؛ أبو الفدا : تقويم البلدان ص٢٦٢-٢٦٣ .

(٤) Metthew of Edessa: op. cit, p. 231.

(٥) Lang, David Marshal: Armenia Cradle of Sivilization, London, 1978. pp 201-202.

(٦) ابن الأثير : الكامل ، ١/ ٣٠٠ .

مكانة الفارس ومساحة إقطاعة ، بالإضافة إلى الأرمن الذين إنضموا إلى بوهمند في الطريق إلى ملطية ، وهو ما يرجح صحة الرقم الذي أورده ابن الاثير . أما قوات ابن دانشمند فقد أشارت بعض المصادر الإسلامية والنصرانية إلى أنها كانت كبيرة دون إعطاء رقم محدد لعددها(١) .

ويذكر وليم الصوري أن ابن دانشمند تسلم معلومات عاجلة عن زحف بوهمند وأصحابه(٢) . وهذا يعني أن كمشتكين بن دانشمند قد أستعد لكل الاحتمالات ، وأنه توقع أن يستنجد جبريل الأرمني بالصليبيين ولذلك بث كمشتكين جواسيسه لرصد تحركات بوهمند بدقة فتربص له في المكان المناسب .

وصل بوهمند ، مستخفاً بالأتراك المسلمين ، على رأس قواته إلى قرب ملطية . وبين التلال التي تفصل ملطية عن وادي اقسو Aksu أحد الفروع العليا الصغيرة لنهر الفرات كمن له كمشتكين بن دانشمند وأنقض عليه في شهر رمضان المبارك سنة ٤٩٣هـ/ اغسطس ١١٠٠م في هجوم صاعق من أعالي التلال ، وطوق قواته ، وبعد قتال قصير إنهارت قوات بوهمند وقتل معظم الصليبيين الذين معه بمن فيهم أسقفا انطاكية ومرعش الأرمنيان . ووقع بوهمند نفسه في الأسر كما أسر ابن عمه ريتشارد أمير سالرنو وغيرهما من الفرسان(٣) .

تقدم كمشتكين بن دانشمند ، بعد المعركة ، بجيشه رافعاً رؤوس القتلى من الصليبيين ، وحاصر ملطية على أمل أن يستسلم جبريل الأرمني بعد أن حلت الهزيمة الساحقة بالقوات الصليبية التي هبت لنجدته ، وظل كمشتكين يحاصر ملطية فترة وجيزة ثم إنصرف عنها . إذ أن الناجين من أصحاب بوهمند هربوا إلى

---

(١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص١٣٨ ، و

Wiolliam of Tyre, op. cit, vol I. p. 411

(٢) William of Tyre: op.cit; vol. p. 411.

(٣) Albert of Aix: op. cit, pp. 524-525; Metthew of Edessa: op. cit pp. 230-231;

Fulcher of Carteres: op. cit, p. 135; William of Tyre: op. cit, vol, I, p. 411; Michael le Syrian: Chronique, ed. en Franczis, par J.B. Chabot, 4 tomes, Paris, 1899-1924, t. 3, pp. 188-189; Runciman: A history of the Crusades, vol . I p. 321.

ومن الطريف أن هذا النصر الحاسم حدث في شهر رمضان المبارك فكان هذا النصر أول إنتصار يحققه المسلمون على الصليبيين في هذا الشهر الكريم الذي تحققت فيه للمسلمين معظم إنتصاراتهم على الأعداء على مر التاريخ .

الرها ورووا لأميرها الصليبي بلدوين البولوني قصة ما حدث فتأثر بالكارثة التي حلت ببوهمند وتعاطف معه ، وكأنه شقيقه ، وخشي مغبة العواقب المحفوفة بالمخاطر على أوضاع الصليبيين(١) . كما يبدو أن بلدوين أدرك خطورة وقوع ملطية بيد كمشتكين بن دانشمند ، لأن ذلك يعني تطويق أمارة الرها نفسها إذ تقع ملطية إلى الشمال الغربي من الرها ، ولا تبعد عن الرها سوى بمسافة ثلاثة أيام(٢) . أي أقل من مئة ميل ، والأستيلاء عليها يجعل الرها تقف بمفردها في جوف بلاد المسلمين ، ويحرمها من الاتصال بالأرمن في قيليقية والصليبيين في انطاكية . لذلك بادر بلدوين باستدعاء قواته الاحتياطية ، وهب مسرعاً لمحاولة إنقاذ بوهمند وحماية ملطية . أما كمشتكين بن دانشمند فقد أدرك أهمية الأنتصار الذي حققه ، وقيمة الصيد الثمين الذي أحرزه بأسره بوهمند وابن عمه وغيرهما من الفرسان ، فلم يجازف بمواجهة بلدوين البولوني عند أسوار ملطية بعد أن سمع أنه قادم في قوات كبيرة فإنسحب عن ملطية ولعل كمشتكين بن دانشمند توقع أن يتعقبه بلدوين طلباً لإنقاذ بوهمند فصعد في هضبة الأناضول حتى يوقع بلدوين في كمين مثلما فعل مع بوهمند إلا أن بلدوين خشي عاقبة توغله في مجاهل الأناضول ، وبعد مسيره في أثر كمشتكين بن دانشمند ثلاثة أيام ، قفل عائداً إلى ملطية ، فرحب به جبريل الأرمني بوصفه منقذاً له وأقام له إحتفالاً ضخماً وإستضافة بإجلال كبير ، وسلمه المدينة بنفس الشروط التي قدمها لبوهمند(٣) . ثم ترك بلدوين خمسين فارساً لمساعدته في الدفاع عن ملطية ثم غادرها عائداً إلى الرها . أما بوهمند وريتشارد وأتباعهما فقد سيقوا مكبلين بالسلاسل إلى قلعة

---

(١) William of Tyre : op. cit, vol. I, p. 411.

ويورد بعض المؤرخين قصة مفادها أن بوهمند عندما وقع في الكمين قطع خصلة من شعره الأصفر وبعث بها مع أحد أتباعه إلى بلدوين ، واستطاع ذلك التابع التسلل إلى خارج المعركة ليوصل الرسالة إلى بلدوين ويبلغه برجاء بوهمند بأن يهب لنجدته قبل أن ينقله الأتراك إلى بلادهم البعيدة .

انظر: Fulcher of Charteres: op. cit, p. 135;

Albert of Aix: op. cit, p. 525; Runciman: op. cit, vol. I, pp. 321–322.

(٢) William of Tyre: vol. I. p. 412.

(٣) Ibid, vol. I, p. 412.

نكسار المنعزلة في مكان بعيد بجبال بنطس قرب البحر الأسود(١) .

النتائج المباشرة لهذا النصر :

جاء انتصار كمشتكين بن دانشمند على الصليبيين وأسر بطلهم القوي بوهمند بعد مضي عام واحد فقط على اغتصابهم بيت المقدس ، وعامين على انتزاعهم انطاكية من أيدي المسلمين . وهذا النصر الذي أحرزه كمشتكين بن دانشمند هو أول انتصار ـ على الاطلاق ـ يحققه المسلمون على الصليبيين منذ وصول الحملة الصليبية الأولى إلى بلاد المسلمين سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٧م . وبوهمند هو اول أمير صليبي يقع في أسر المسلمين وهو أسير بالغ الأهمية ، فقد كان له دور كبير في نجاح الحملة الصليبية الأولى ، حيث قاد الصليبيين في معركة دوريليوم التي انتصروا فيها على سلاجقة الروم . وكان هو البطل الحقيقي ـ في نظر الصليبيين ـ الذي قام بالدور الحاسم في حصار انطاكية وانتزاعها من أيدي المسلمين . لذلك فان إنزال الهزيمة به وأسره يعتبر نصراً ضخماً للمسلمين وهزيمة كبرى للصليبيين ، لأن بوهمند كان أقوى الأمراء الصليبيين وأشجعهم ، وأكثرهم دهاءً ومكراً . وبخاصة وأنه قد شرع يتوسع على حساب المسلمين وغدا اسمه يثير الرعب والفزع في نفوس المسلمين حتى خراسان كما يقول بعض المؤرخين(٢) .

ولا شك أن انتصار ابن دانشمند أعاد للمسلمين ثقتهم بأنفسهم ورفع روحهم المعنوية ، بعد الهزائم المتلاحقة التي حلت بهم على أيدي الصليبيين ، وأضحوا مقتنعين أنه يمكن تحقيق انتصارات أخرى على الصليبيين . ومن النتائج المباشرة لهذا النصر ، إبعاد الخطر الذي أحدق بحلب والتي كانت على وشك السقوط بيد بوهمند ، حيث كانت قواته ترابط عند حلب طبقاً لمخططه في محاولة

---

(١) Albert of Aix: op. cit, pp. 525-529; Fulcher of Carteres: op. cit, p.135; Matthew of Edessa: op. cit, p. 231; Runciman: op. cit, vol. I, p. 322.
سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ١ / ٢٨٧ ـ ٢٨٨ .

(٢) Matthew of Edessa: op. cit, p. 231; Runciman: op. cit, vol. I, p. 321.

الاستيلاء عليها ، اذ يذكر ابن العديم أن ابن دانشمند أسر بوهمند (وقتل عسكره . . . فخيب الله ظن الفرنج وهربوا من أعمال حلب ، وتركوا جميع ما كانوا أعدوه ، فخرج رضوان وأخذ الغلال التي جمعوها ، ونزل سرمين)(١) . كما سار جناح الدولة حسين صاحب حمص إلى حصن أسفونا قرب المعرة (وبه جماعة من الفرنج فهاجمه وقتل جميع من فيه)(٢) وهكذا تنفست حلب الصعداء لتصبح فيما بعد منطلق الجهاد وقاعدة المجاهدين الأمامية ضد الصليبيين .

ومن نتائج إنتصار كمشتكين بن دانشمند ما حل بالصليبيين في المعركة من خسائر بشرية لا يستهان بها ، ذلك أن الأمارات الصليبية كانت تعاني نقصاً خطيراً في القوة البشرية ، بعد أن عاد معظم الصليبيين إلى بلادهم في أوربا ، معتقدين أنهم أوفوا بقسمهم الصليبي بعد إنتزاع بيت المقدس من المسلمين(٣) . الأمر الذي يدل على أن الدافع الديني في الحرب الصليبية كان هو الأساس في تحرك تلك الجموع ، خدمة للصليب ، مما يفند آراء كثير من الباحثين الذين يؤكدون على أهمية الدوافع الأقتصادية والسياسية والأجتماعية والاستعمارية ، فغالبية الصليبيين عادوا إلى بلادهم معتقدين أنهم أدوا واجبهم تجاه دينهم وكنيستهم ، فما هي المكاسب المالية التي حققها أولئك العائدون؟ لا شيء ، إنها خدمة الصليب فقط!!!

وقد جاءت الخسائر الجديدة عند ملطية لتزيد الأمر تفاقماً بالنسبة للصليبيين ، لدرجة أن أتباع بوهمند في انطاكية لم يجدوا بينهم فارساً يستطيع النهوض بعبء الدفاع عن الأمارة عقب أسر بوهمند ، فاستنجدوا بابن أخته تانكريد Tancred الذي كان يحكم الجليل في فلسطين ، فإنتقل إلى انطاكية مما أصاب الصليبيين في الجليل بخيبة أمل كبيرة ، فشعروا أنهم حرموا من جهود رجل والرجال قليل(٤) .

---

(١) ابن العديم : زبدة الحلب ، ٢/٥٠٩ ، وسرمين مدينة من أعمال حلب لها ولاية واسعة خصبة وبها أسواق ومسجد جامع وليس لها سور وتبعد عن حلب مسيرة يوم ، وحلب في شماليها وهي على منتصف الطريق بين المعرة وحلب . انظر : أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٦٤-٢٦٥ .

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، ٢/٥٠٩ .

(٣) Stevenson. K.M. : The Crusades in the East, Cambridge, 1907, p. 36;
Gate. J.L. The Crusade of 1101. in the History of the Crusades. vol. I, London, 1969. p. 344.
سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ١/٢٦١ .

(٤) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ١/٢٩٥-٢٩٦ .

أسر بوهمند يفضي إلى إنتصارات كبرى :

على أن أهم نتائج إنتصار كمشتكين بن دانشمند على الاطلاق هو ما تولد عن ذلك الانتصار من إنتصارات أخرى جديدة رائعة ، حققها ابن دانشمند على الحملات الصليبية الكبيرة والتي تضارع في الضخامة الحملة الصليبية الأولى . إذ أن إعتقال بوهمند في قلعة نكسار شمال الأناضول أضحى بمثابة الطُّعْم الذي إستدرج الحملات الصليبية الكبيرة التي وصلت سنة ٤٩٤هـ/١١٠١م حيث تمكن كمشتكين بن دانشمند وأتراك الأناضول المسلمون من القضاء على تلك الحملات قضاءً مبرماً . والحق أن تلك الحملات قد حظيت ببعض الدراسات المبتسرة من جانب الغربيين ، وكان هدفهم من تلك الدراسات إبراز الصعوبات التي إكتنفت الطريق البرى أمام الصليبيين إلى بيت المقدس ، وإظهار الصليبيين في صورة الحجاج الأتقياء الذين إرتكبوا العديد من الأخطاء ، وكابدوا بسبب تلك الأخطاء الجوع والعطش والمذابح على أيدي الأتراك المسلمين ، فماتوا في سبيل عقيدتهم وفي سبيل الوصول إلى قبر مخلصهم(١) . أما من جانب المسلمين فلم تحظ تلك الحملات بالدراسة والتحليل(٢) .

ويجدر بنا أن ندرسها هنا بالتفصيل لإيضاح مقدار ما بذلته البابوية وأمراء أوربا في سبيل حشدها من جهد لكي نقدر حجم الإنتصارات التي تحققت وحتى يبرز الدور الجهادي الرائع الذي قام به كمشتكين بن دانشمند وأتراك الأناضول المسلمون من قطع طريق الأمداد البرى على جحافل الصليبيين المعتدين . إذ كان أولئك الأبطال المسلمون على ثغر من أهم ثغور الإسلام ، دافعوا عنه

---

(١) Gate: The Crusade of 1101, p. 345, Runciman: op. cit, vol. II. p. 29.

(٢) ويبدو أن السبب في عدم إهتمام الباحثين المسلمين بأمر تلك الحملات وإنتصارات ابن دانشمند عليها يرجع إلى نقص المعلومات ـ الشديد ـ عنها في المصادر الإسلامية حيث لم يتعد حديث ابن الأثير عنها بضعة أسطر لا تكفي أبداً لشرح تلك الحملات بالتفصيل .
انظر ابن الأثير : الكامل ١/٣٠٠ ، ولا سبيل أمامنا سوى دراستها عن طريق الأعتماد على المصادر والمراجع الغربية ومحاولة إستخلاص الحقائق منها والتي تلقى الضوء على جهاد الأتراك المسلمين ضد تلك الحملات الكبيرة .

ببسالة ، وبكل ما يستطيعون ، ونجحوا في القيام بواجبهم نحو أمتهم ودينهم رغم نجاح الحملة الصليبية الأولى . ويمكن لنا أن نقدر حجم وقيمة تلك الإنتصارات الضخمة ، فيما لو تصورنا تلك الجحافل الصليبية الجديدة وقد وصلت إلى بلاد الشام ، فإنها ستحل مشكلة النقص الخطير في القوة البشرية الذي كانت تعانية الأمارات الصليبية ، مما سيجعل من الصليبيين في بلاد الشام قوة ضاربة قادرة على إنتزاع بقية بلاد الشام التي في حوزة المسلمين بل وتهديد مصر والعراق والجزيرة العربية ، مما سيغير مجرى الحروب الصليبية برمتها في وقت كان لا يزال فيه المسلمون في بلاد الشام ومصر والعراق يعانون من إنقسامات عميقة ولم يبدأ تيار الوحدة في الظهور إلا بعد أكثر من عقدين من الزمان .

أوربا تحشد حملات جديدة

البابا أربان الثاني يدعو إلى حملة جديدة :

كان البابا أوربان الثاني Urban II (١٠٨٨-١٠٩٩م) الذي أثار الحروب الصليبية ، أشد الناس ، في الغرب ، تحمساً لمواصلة تجريد الحملات الصليبية . فبعد أن غادرت الحملة الصليبية الأولى أوربا ، ظل البابا أربان الثاني يعمل بكل طاقاته على إشعال نار التعصب الديني في نفوس النصارى ، فحث جميع الأوربيين على إتخاذ طريق بيت المقدس ، كما حث الدول البحرية التجارية الإيطالية - بيزا وجنوه والبندقية - على تقديم المساعدة للصليبيين الزاحفين نحو الشرق ، حتى أنه في آخر مجامعه الدينية في مدينة بارى Bari بجنوب شرق ايطاليا (أكتوبر ١٠٩٨م) وروما (أبريل ١٠٩٩م) قدم أربان القضية الصليبية على ما سواها من القضايا داعياً إلى إمدادات جديدة ، وأخذ على عاتقة مهمة قيادة الحملة الجديدة والبدء بالهجوم(١) . وفوق هذا وذاك فقد كتب البابا أربان الثاني إلى جماعة من نبلاء قطالونية وفرسانهم في أسبانيا يشجعهم ، ويشبه مساعدتهم

(١) Gate : op. cit, p. 344.

للكنيسة الأسبانية بمساعي الصليبيين في آسيا ، كما وعدهم بالغفران وأكد على أن كل من إنتوى منهم أن يتخرط في سلك الحرب الصليبية في آسيا فإن عليه أن يوفر جهده ذلك في أسبانيا ، إذ أن القتال ضد المسلمين في أسبانيا لا يقل شأناً - بزعمه - عن القتال ضدهم في آسيا ، ودلل البابا أربان الثاني على رؤيته تلك للحرب الصليبية بأن أعاد رئيس أساقفة طليطلة إلى بلاده والذي أراد الأنضمام إلى الحملات الصليبية المتجهة إلى الشرق(٢) . وهذا في الواقع أمر له دلالته العميقة ، فهو يوضح أن الحروب الصليبية ليست مجرد حملات متباعدة لحرب المسلمين بل هي حركة كبرى مستمرة ، متمادية ، هدفها إنتزاع البلاد المقدسة في الشرق واحتلال الأندلس وتحطيم المسلمين والقضاء على الإسلام .

أثر الحملة الصليبية الأولى في الغرب الأوربي :

توفي البابا أربان الثاني في ٢٩ يولية ١٠٩٩م/٤٩٢هـ ، أي بعد أسبوعين فقط من إستيلاء حملته الصليبية الأولى على بيت المقدس ، دون أن يعلم بالنصر الذي حققه أتباعه على المسلمين . وقد أستقبل الأوربيون نبأ إنتزاع بيت المقدس من المسلمين بالحماسة والهتافات والفرح الغامر وإبتهجوا إبتهاجاً عظيماً بالإنتصارات التي حققها إخوانهم ، وفي كل مكان من أرجاء أوربا قطع المؤرخون المحليون كتابتهم للحوادث المحلية ليسجلوا ما إعتقدوا أنه الدليل على عناية الرب ورحمته بهم ، أما رجال الدين في أوربا فقد عبروا عن فرحهم بنجاح سياسة أربان الصليبية بإقامة الصلوات والتراتيل ، وفق عقيدتهم النصرانية(١) .

---

(٢) Louise and Jonathan, Riby-Smith: The Crusades.
Idea and Reality 1095-1274. Documents of Medieval History 4. London, 1981, p. 14.

(١) William of Tyre: op. cit, vol. I, p. 340;
Runciman: op. cit, vol. II, p. 18; Gate: op. cit, p. 344; Mayr, Hans Eberhard: The Crusades.
Translated by John Gillingham Oxford University press p. 69, 1972.

الصليبيون في الشام يطلبون الأمدادات من أوربا :

أمـا القادة الصليبيون في الشرق الإسلامي فقد شعروا بالخطر الناجم عن النقص الكبير في القوة البشرية ، وحاجتهم الماسة إلى إمدادات عسكرية فذكروا في رسـائلهم التي بعثـوهـا إلى أوربا أن تقدير الإنتصارات التي حققوها يكون بالصلوات وتقديم المعنويات المالية والأمدادات العسكرية ، وظلوا يتابعون تلك المـطالب . كما أن الصليبيين العـائـدين إلى أوربا حثـوا إخوانهم النصارى في الغـرب على إرسـال النجـدات للصليبيين في الشرق . ورووا لمواطنيهم أخبار حملتهم الأولى ، وما حوته البلاد التي وصلوا إليها من غرائب وعجائب ، وأضفوا على رواياتهم الكثير من المبالغات فزعموا أنهم تلقوا التأييد من الله ، وأشاعوا أن بالشرق من الثروات والممتلكات الكبيرة ما يتطلب قدوم المغامرين ، كما إنتشر الأعتقاد ، أنه ما لم تصل أمدادات جديدة إلى الصليبيين في الشرق فإنه لن يكون في مقدورهم الأحتفاظ بالبلاد التي إنتزعوها من المسلمين(١) .

البابا باسكال الثاني يثير الحملات الجديدة

لم يكن البابا الجديد باسكال الثاني(٢) Pascal II (١٠٩٩-١١١٨م) أقل حماسة عن سلفه أربان الثاني في الدعوة للحرب الصليبية ضد المسلمين ، فقد أستمر على سياسـته وسار على خطاه ، وما أن سمع بنجاح الصليبيين في إنتزاع بيت المقدس ، عقب إختياره لمنصب البابوية مباشرة ، حتى بعث برسالة إلى رجال الـدين الفرنسيين يأمرهم بالدعوة إلى حملة صليبية جديدة ، وحدد تاريخ ٢٨ أبريل ١١٠٠م ، موعداً لبدء رحيل الحملة ، وفوض على الصليبيين ممثلاً عنه هو

---

(١) Gate: the Crusades of 1101. p. 344;

Runciman A History of the Crusades, vol, II. pp. 18; Mayr: The Crusades. p. 69.

(٢) كان البابا باسكال الثاني واسمه الحقيقي رينيريوس Rainerus قد نشأ كراهب صغير بدير كلوني بجنوب فرنسا . وتأثر بالبابا جريجورى السابع (١٠٧٣-١٠٨٥م) ثم جاء الى روما ، وترقى بسرعة في البلاط البابوي ، فنال ثقة البابا أربان الثاني ، فاختاره مندوباً له في أسبانيا ، ويقال أن البابا أربان اقترح أن يكون خليفته ، فلما مات أربان جرى انتخاب رينيريوس تحت اسم باسكال الثاني فاستمر على سياسة أربان الصليبية .

انظر: Gate: op. cit, p. 345; The Cambridge Medieval History, vol. V, Contest of Empire and Papacy London, 1979. pp. 95-96.

الأسقف الكـاردينالي موريس أسقف مدينة بورتو Maurice of Porto وأكد البابا باسكـال على أن القوات النصرانية يجب أن تبقى في الشرق لتستكمل واجبها المقدس على حد زعمه(١) . وقد شدد البابا في رسالته إلى رجال الدين الفرنسيين على أن يوجهوا ضغطهم الرئيسي للأشتراك في الحملة الجديدة ، على ثلاث فئات من النصارى هم :

أ) الذين أقسموا على الإنخراط في صفوف الحملة الصليبية الأولى ولم يفوا بقسمهم .

ب) الذين تخاذلوا عن الحملة الأولى سواء في إيطاليا أو في بقية الأماكن على طول الطريق إلى الشرق وعادوا إلى بلادهم .

ج) الذين جبنوا أثناء حصار انطاكية وفروا من المعسكر الصليبي عائدين إلى بلادهم .

ولم يهمل البابا باسكال الثاني في الوقت نفسه ، العمل على جذب عدد كبير من المتـطوعـين الجـدد بعـد أن أعلن غفـران ذنوب كل من يشترك في الحملة الجـديدة ، وتعهـد بتقديم الميزات نفسها التي تعهد بها البابا أربان الثاني زمن الحملة الصليبية الأولى . ولذلك فقد كان السواد الأعظم من المتطوعين الجدد الذين إتخذوا شعار الصليب لأول مرة ، وشرعوا يتجهزون للرحيل إلى الشرق(٢) .

وقد نهج البابا باسكال الثاني نهج سلفة أربان الثاني إزاء الحروب الصليبية ضد المسلمين في الأندلس . فقد أعتبر أن الملوك الأسبان تحملوا من المسلمين بما يكفي

---

(١) Gate: op. cit. p. 345; Louse and Jonathan: The Crusades, Idea and Reality, p. 14; Mayr: op. cit. p. 69.

(٢) Gate: op. cit, p. 345; Mayr : op. cit, p. 69.

أما الميزات التي تعهد بها البابا أربان الثاني زمن الحملة الأولى فهي : إعتبار الصليبيين جنود المسيح ، وأنهم أضحوا تحت حماية الكنيسة ، وأن تحمي الكنيسة أسرهم وأموالهم فتصبح بعيدة عن تهديدات المجتمع الاقطاعي خلال غيبتهم في الشرق ، كما ساوى أربان بين ممتلكات الصليبيين وممتلكات الكنيسة بحيث لا تخضع تلك الممتلكات للحكام الدنيويين ، وأن لا يقدم الصليبيون أي خدمة أو ضريبة للسلطات الزمنية بعد التحاقهم بجيوش البابا . وقد أطلق البابا على تلك الميزات اسم (امتيازات الصليب) .

انظر : Duncalf, Frederic : The Councils of Piacenza and Clermont in the History of the Crusades, vol. I, London, 1969 p. 249.

على طول حدودهم ، فحلل الفرسان الصليبيين ، الذين قدموا من قشتالة وليون ، من قسمهم الصليبي ، وأرسل إلى بلادهم يحلل أيضاً الذين إستعدوا لبدء الرحلة إلى بيت المقدس . كما أوضح للفونسو السادس Alfonso (١٠٦٥-١١٠٩م) ملك قشتالة وليون أن عليه تأدية واجبه تجاه الصليب في أسبانيا ـ حسب زعمه ـ(١) . كما بعث البابا باسكال الثاني إلى بطرس الأول Peter I ملك أرغون ونافار (١٠٩٤-١١٠٤م) ، والذي أتخذ الصليب من أجل بيت المقدس ، أن عليه أن يوفي بنذره في أسبانيا(٢) . وهذا يوضح حقيقة كبيرة ، وهي أن الروح الصليبية ضد المسلمين ليست قاصرة على الأراضي المقدسة في بلاد الشام بل شاملة ضد المسلمين في كل مكان(٣) .

ونظرة فاحصة إلى الموقف في غرب أوربا تظهر لنا أن مهمة البابا باسكال الثاني أقل صعوبة من تلك التي قام بها سلفه أربان . فالصليبيون أصبح لهم الآن قواعد كبيرة في بلاد المسلمين ، وعندما يغادرون إلى الشرق سيجدون تلك القواعد في خدمتهم بالإضافة إلى وجود القادة المتمرسين في الشرق أمثال بلدوين البولوني وتنكرد وريموند الصنجيلي وغيرهم ، والذين عرفوا الكثير عن أحوال المسلمين وعن بلادهم كما أن الحماسة في أوربا كانت في أوجها بعد أن سمع الغربيون بأنباء الأنتصارات التي أحرزتها الحملة الصليبية الأولى ، هذا فضلاً عما

---

(١) Gate: op. cit, p. 346.

(٢) Louise and Jonathan: The Crusades, Idea and Reality p. 14.

(٣) أختلف المؤرخون المحدثون في تعريف الحروب الصليبية ، فمنهم من إعتبرها حلقة في سلسلة الصراع بين الشرق والغرب . ومنهم عرفها بأنها مجرد هجرة من الهجرات التي حدثت داخل العالم الروماني عقب سقوط روما بيد الجرمان سنة ٤٧٦م . ومنهم من إعتبرها أول تجربة استعمارية قامت بها أوربا خارج بلادها . ومنهم من إعتبرها حركة كبرى إنبثقت عن الأوضاع التي سادت أوربا في القرن الحادي عشر الميلادي .
انظر جميع تلك التعريفات بالتفصيل في كتاب ، سعيد عبدالفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، ١/٢٢-٢٦ .
على أننا نستطيع أن نعرفها في ضوء قول الله تعالى : ﴿ **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم** ... **الآية** ﴾ ـ البقرة آية ١٢٠ . وقوله تعالى : ﴿ **ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق** ... **الآية** ﴾ البقرة آية ١٠٩ . فنقول عن الحروب الصليبية بأنها (حروب دينية عقدية قامت بها أوربا النصرانية ضد العالم الإسلامي بهدف الأستيلاء على الأماكن المقدسة في بلاد الشام ، وطرد المسلمين من الأندلس ، ثم إتخذت شكلاً تنصيرياً واسعاً لتحويل المسلمين عن دينهم وتدمير عقيدتهم) .

أنتشر من قصص وأساطير ومبالغات عن بطولات الصليبيين المزعومة ، والتي روجها الصليبيون العائدون . مما جعل الكثير من الغربيين يتحرقون شوقاً للمسير إلى الشرق . لذلك لا نعجب إذا تكونت حملا ت جديدة ضخمة تضارع في الضخامة الحملة الصليبية الأولى . ولنستمع إلى وليم الصورى الذي يصور الموقف في أوربا عقب نجاح الحملة الصليبية الأولى حيث يقول ما ترجمته :

(سمع أمراء الغرب بالأشياء العظيمة والمدهشة التي حققها السيد المسيح عن طريق خدامه الذين ذهبوا للحج ، وكيف قاد جيشة عبر أقطار فسيحة ، وخلال محن كثيرة متنوعة صوب أرض الميعاد !! وكيف قهر الأمم وجلب الممالك خاضعة أمام أعين هؤلاء الحجاج . أما أولئك الذين مكثوا في بلادهم فقد ابتهجوا لإنتصارات إخوانهم ، وأثيروا في نشاط بسبب ذلك أيضاً ، نظراً لأنهم لم يشاركوا في الأعمال البطولية المنجزة بنجاح ، وهكذا جاءوا على نحو متصل وبإتفاق مشترك ، واختمرت فكرة البدء بحملة جديدة)(١) .

وهذا النص يوضح الروح الدينية التي كانت تسيطر على الأوربيين في ذلك العصر ، إذ كانوا يعتقدون أن الحرب العدوانية التي يوجهونها ضد المسلمين ، ليست إلا حرب المسيح عليه السلام وأنه هو الذي قادهم للهجوم على المسلمين ، الأمر الذي يؤكد تعريفنا للحروب الصليبية ، بأنها حروب عقدية هدفها تدمير الإسلام والأستيلاء على بلاد المسلمين .

---

(١) William of Tyre: op. cit, vol. I, p. 430.

واليك النص بالأنجليزية :

Princes of the West heard of the great and marvellous things which the Lord had wrought through His servants who had gone upon the pilgrimage: how through a vast expanse of countries, through many varied and manifold misfortunes He had led His army into the Land of Promise; how before the very eyes of these pilgrims He had subdued nations and brought kingdoms low. Those who had remained at home rejoiced over the triumphs of their brethren, but they were vexed in spirit because they, too, had not been worthy to participate in the exploits thus successfully accomplished. Accordingly, they came together and, by mutual agreement, conceived the idea of starting a new expedition.

الحشود الايطالية :

كانت لمبارديا في إيطاليا أول البلدان الأوربية إجابة للدعوة الجديدة ، فقد كتب البابا أربان الثاني ـ قبيل أشهر قليلة من وفاته ـ إلى الأسقف انسلم بويه Anselm Buis رئيس أساقفة ميلان طالباً إليه أن يقود شعبه في حملة صليبية ولبّى انسلم الدعوة ، وعين أحد مساعديه أسقفاً ليحل محله ، وفرض ضريبة على إيرادات رجال الدين التابعين له ، للمساعدة في تحمل نفقات الحملة . وأحتشد اللمبارديون من مختلف طبقاتهم ، بمن فيهم النساء والأطفال ، وأتخذوا شعار الصليب ، وهم يرددون الأناشيد الحماسية . وإنضم إلى انسلم بويه الكثير من رجال الدين الكاثوليك ، وعلى رأسهم جميعاً وليم William أسقف مدينة بافيا Pavia وجيودو Guido أسقف تورتونا Tortona . أما أشهر الأمراء الذين إنضموا إلى انسلم بويه ، فكانوا بقيادة البرت كونت بياندرات Albert of Biandrat ، ومعه أخيه جيودو Guido ، وابن اخيه أوتو التاسباتا Otto Altaspata ، وهيو أمير مونتيبللو Hugh of Montebe ، والكونت البرت Albert ، صاحب بارما Parma والذي توفي فور زحف الصليبيين في سبتمبر ١١٠٠م . وبلغ عدد اللمباردين حسب ما ذكره البرت الأخيني زهاء مائتي ألف(١) .

الدعوة للحرب الصليبية الجديدة في فرنسا :

أما في فرنسا حيث وجه البابا باسكال الثاني جهده الأكبر وحقق نجاحاته الرئيسية ، فقد استجاب لدعوته كبير الأساقفة ماناسيس الثاني Manasses أسقف ريمس Rheims ، والذي كتب إلى الأسقف لامبرت Lambert أسقف أرا Arras ، مكرراً دعوة البابا للمحاربين بالأنخراط في صفوف الحملة الصليبية الجديدة . وضمَّن رسالته رجاء جودفري Godfrey ، حاكم بيت المقدس ، ورئيس أساقفتها ، البطريك أرنولف Arnulf ، ببعث النجدات للصليبيين بالشرق . كما بعث ماناسيس إلى أساقفته الآخرين يدعوهم إلى حشد شعوبهم . فلبى دعوته

(١) Albert of Aix: op. cit, p. 556; Gate: op. cit, pp. 346-347.

أما أنّا كومنين فقد ذكرت أن عدد اللمبارديين بلغ خمسين ألف فارس ومئة ألف راجل .

انظر: Anna Comnena : The Alexiad p. 356.

الأسقف هيو أسقف داي Hugh of Die ورئيس أساقفة ليون Lyons ودعى إلى عقد مجمع كنسي في ربيع أو صيف سنة ١١٠٠م ، فإنضم إليه أربعة من رؤساء الأساقفة وتسعة أساقفة آخرين ، فأعلنوا منشور البابا الداعي إلى الحرب الصليبية الجديدة ، وحصل هيو على الأذن من البابا بتنظيم الرحلة إلى الشرق . وأرسل البابا من قبله مندوبين هما الكاردينال جون أسقف انستاسيا John of St. Anastais وبندكت أسقف أيدوكسيا Binedict of St. Eudoxia وحضر المجمع الديني الذي دعا إليه هيو في مدينة آنس Anse بجنوب برجنديا . ثم عقد المندوبان مجمعاً دينياً ثانياً بمدينة فالنس بجنوب فرنسا في أواخر سبتمبر ١١٠٠م ، ثم سافرا إلى غرب فرنسا حيث عقدا مجمعاً دينياً ثالثاً بمدينة بواتييه Poitiers بشمال مقاطعة اكيتانيا ، وذلك في ١٨ نوفمبر ١١٠٠م في الذكرى السنوية الخامسة لأفتتاح مجمع كليرمون الذي أعلن فيه البابا أربان الثاني الدعوة للحروب الصليبية . وقد أثار المندوبان الجماهير النصرانية بإنفعال شديد بعد أن زعما زوراً وبهتاناً أن على تلك الجماهير أداء الواجب بسرعة تجاه ما سمى بـ«حرب الرب» ـ بزعمهم ـ وكانت الأستجابة فورية وحماسية ، مثلما كان الحال عند كليرمون اذ أن النبلاء ورجال الدين والطبقة الدنيا إتخذوا شعار الصليب(١) .

الحشود الفرنسية :

وكان وليم التاسع William دوق اكيتانيا أقوى الأمراء الذين حضروا مجمع بواتيه واتخذوا شعار الصليب . والمعروف عنه أنه من أوائل شعراء التربادور(٢) . وقد قاوم دعوة البابا أربان الثاني سنة ١٠٩٥م فلم يشترك في الحملة الصليبية الأولى ، واستغل رحيل جاره العنيد ريموند الصنجيلي أمير تولوز مع الحملة

---

(١) Gate: The Crusade of 1101, pp. 347-348.

كان إتخاذ شعار الصليب بمثابة القسم أو النذر العظيم ، في نظر الأوربيين ، يجب على من يتخذه أن يفي بقسمه بالسير إلى الشرق للاشتراك في الحرب الصليبية وزيارة بيت المقدس .

(٢) شعراء التربادور طبقة من الشعراء الغزليين الغنائيين الذين أشتهروا في جنوب فرنسا وشمال ايطاليا من القرن الحادي عشر إلى نهاية القرن الثالث عشر الميلادي وللمزيد من التفاصيل عن شعراء التربادور .

انظر : Painter, Sidney: A History of the Middle Ages, 284-l500, London, 1975, 1976. pp. 450-451.

الصليبية الأولى ، وشرع يغير على بلاده ، مما أثار غضب الكنيسة ، وأستياء سيده فيليب الأول Philip I ملك فرنسا (١٠٦٠-١١٠٨م) . وأزاء ضغط الكنيسة أعلن وليم التاسع اشتراكه في الحرب الصليبية الجديدة . ولكي يحصل على الأموال الكافية لتموين حملته فقد رهن دوقيته إلى الملك وليم روفوس William Rufus (١) ملك إنجلترا (١٠٨٧-١١٠٠م) ويرجح أحد الباحثين المحدثين أن الدافع الذي حرك وليم التاسع للأشتراك في الحملة الصليبية ، هو سماعه بالمنجزات الضخمة التي حققها زملاؤه الصليبيون في الشرق ، أكثر من إنتقادات الكنيسة ، فأشترك في الحملة طمعاً في تحقيق مكاسب خاصة على حساب المسلمين(٢) . وقد أستطاع وليم التاسع أن يحشد جيشاً كبيراً من بلاده ومن المناطق المجاورة . ومن الأمراء الذين أنضووا تحت قيادته الكونت جيوفرى Geof-frey صاحب فندوم Vendome ، وهربرت Herbert فيكونت(٣) ثاور وشقيقه جيوفري ، وهيولوزجنان Hugh Lusgnan (وهو أخ غير شقيق لريموند الصنجيلي صاحب تولوز) . بالإضافة إلى الكثير من رجال الدين النصارى ، وضمنهم بعض الأساقفة مثل ريجنالد Reginald أسقف برجوا Perigueux ووليم أسقف أوفرين Auvergne . كما جمع رجال الدين الكثير من الأموال من وجهاء الناس للإسهام بها في الحملة . وفي الوقت الذي إصطحب فيه بعض الصليبيين زوجاتهم فقد ترك وليم التاسع زوجته لتدير ممتلكاته ، وأخذ معه ثلة من الفتيات غير المتزوجات(٤) ، مما يشير إلى فساد أخلاقه وعدم التزامه حتى بعقيدته الكاثوليكية المحرفة أصلاً . ومما ساعد أيضاً على إثارة الحماسة في هذه المناطق ما رواه العائدون من حكايات عن الشرق وما جلبوه من أشياء زعموا أنها من الآثار المقدسة (٥) .

---

(١) Ordericus Vitalis: The Ecclesiasdtical History of England and Normandy. Translated by Thomas Forester, 4 vols, London, 1853-1860, vol. IV, p. 80; William of Tyre: op. cit. vol, I, p. 430; Gate: op. cit, p. 348.

(٢) Gate: op. cit, p. 340.

(٣) الفيكونت نبيل دون الكونت وفوق البارون .

(٤) Gate : op. cit, p. 348.

(٥) Ibid, pp. 348 - 349.

أما في شمال فرنسا ، حيث خرج منها الكثير من الصليبيين زمن الحملة الصليبية الأولى ١٠٩٦م ، فيأتي على رأس الذين أستجابوا للدعوة الجديدة ستيفن Stephen كونت بلوا Blois ، وهيو كونت فرمندوا Hugh of Vermandois شقيق ملك فرنسا فيليب الأول . وكانا قد شاركا في الحملة الصليبية الأولى إلا أنهما إنسحبا عن الحملة أثناء حصار أنطاكية ، وعادا إلى بلادهما ، فاتهمتهما الكنيسة والجماهير النصرانية بالجبن والخور ، بسبب فرارهما ، لدرجة أن ستيفن كونت بلوا تعرض للتقريع واللوم الشديدين من جانب زوجته أديلا Adela أبنة وليم الفاتح حتى أثناء الملاطفات الزوجية بينهما بحجرة النوم بحيث ضاقت الدنيا في وجه ستيفن ، فلم يجد بداً من الخروج في الحملة الجديدة صوب الأراضي المقدسة(١) .

أما الهارب الثالث من عند أنطاكية جاى تروسو Guy Trousseau أمير مونتلير Montlhery فقد أناب عنه ثلاثة من أمرائه هم جاى الأحمر كونت رتشفور Rochefort ، وما يلزم أمير براى Miles of Bray . وفيكونت تروى Viscount of Troyes . أما الأمراء الذين أتخذوا شعار الصليب لأول مرة من هذه المنطقة فهم أودو آربين Odo Arpin فيكونت بورجي Brourges وهيوباردولف الثاني Hugh Bar-dulf أمير بروى Broyes ، وبلدوين Baldwin أمير جراندبير Grandpre ، ودودو Dodo أمير كليرمون ، وولبرت Wallbert نائب لون Laon . بالإضافة إلى ثلاثة من

---

(١) Ordericus Vitalis: op. cit, vol. IV, p. 119;
William of Tyre: op. cit, vol. I, pp. 430-431;
Gate: op. cit, p. 349; Runciman: op. cit, vol. II p. 20; Mayor: The Crusades, p. 19.
وقد وصف المؤرخ النورماني أورد ريكوس فيتاليس ضغط أديلا على زوجها ستيفن كونت بلوا قائلاً بأنها لا تمكنه من نفسها وكانت تقول له عندما يريد الأقتراب منها : (أبعد عني ، فإن سيدي المسيح يقدم إليك الأشرعة منذ زمن طويل ومرحباً من كل الأتجاهات . أستجمع الشجاعة دفاعاً عما كنت معروفاً به في شبابك وخذ قواتك في قضية نبيلة من أجل أنقاذ الأف المسيحيين فربما يغدو لدى المسيحيين في جميع أنحاء العالم سبب ليبتهجوا نظراً لما واجهوه من فظاعة الوثنيين والأذلال الشهير لدينهم البغيض) . انظر : Ordericus Vitalis : p. 119 وهذا النص يبرهن أيضاً على الروح الدينية لدى الصليبيين ، ويكشف جهل الصليبيين بالإسلام والمسلمين وشدة عداوتهم للإسلام وأهله بحيث كانوا يصفون المسلمين بالوثنيين ويصفون دينهم بالدين البغيض . كما يُظهر النص مدى تصديق الناس في أوربا لتلك المقولة الكاذبة التي روجتها البابوية ورجال الدين النصارى ، والتي تقول : بأن المسلمين يضطهدون النصارى في بلادهم ، وهي مقولة باطلة لا سند لها من الواقع التاريخي

كبار الأساقفة هم وليم أسقف باريس الذي شهد المجمع الكنسي في مدينة آنس ، وأنجل راند Ingelrand أسقف لون ، وهيو Hugh أسقف سواسون Sois-son (١) .

أما في شرق فرنسا فكانت الأستجابة لدعوة البابا حماسية أيضاً . إذ أن وليم الثاني William II كونت نيفر ويوكسير وتونير Nevers, Auxerre and Tonnerre قد تطوع لنصرة القضية الصليبية ، ونهض بكامل عساكره وأضحى يعمل بوصفه جيشاً مستقلاً . وفي الوقت الذي أنضم فيه المتطوعون من المناطق المجاورة لبرجنديا Burgundy إلى ستيفن كونت بلوا ، فقد أشترك في الحملة دوق برجنديا أودو Odo وهو محارب قديم شارك في الحروب الصليبية العدوانية ضد المسلمين في الأندلس ، ولكنه جلب على نفسه سخط البابوية ، وصدر ضده قرار الحرمان في مجمع فالنس الكنسي بسبب اعتداؤه على أراضي دير كلوني في جنوب فرنسا ، فتبرع بضيعتين لصالح الكنيسة وأعلن توبته وأتخذ شعار الصليب كي يرفع عن نفسه قرار الحرمان . كما أنضم إلى أودو تابعه ستيفن كونت برجنديا وماكون Macon والذي ينتمي إلى أسرة عُرفت بحماستها للحروب الصليبية ، إذ سبق لأخيه الأكبر ريجنالد الذهاب إلى بيت المقدس ، أما أخوه الأصغر هيو رئيس أساقفة بسانكو Besancon فقد رافقة في هذه الحملة(٢) .

الحشود الألمانية :

وفي ألمانيا أستجاب الكثير من الناس للدعاية الصليبية ، وأنخرط المتطوعون من جميع الدوقيات الألمانية ، وعلى رأسهم جميعاً ولف الرابع Wilf دوق بافاريا

(١) Ordericus Vitalis : op. cit, vol. IV, p. 118;
Albert of Aix: p. 563; Gate: op. cit, p. 349; Mayer: op. cit, p. 69.
والهدف من ذكر أسماء الشخصيات الكبيرة التي شاركت في الحملة هو التدليل على ضخامة الحملات وما بُذل فيها من جهد . حتى يمكن بعد ذلك تقدير الأنتصارات التي أحرزها كمشتكين بن دانشمند على هذه الحملات .

(٢) Albert of Aix : pp. 562-563; Gate: op. cit, pp. 349-350; Mayer : op. cit, p. 69.
والمعروف في النظام الأقطاعي الأوربي أن الدوق نبيل أعلى مرتبة من الكونت ، ويصح أن يكون الكونت في المقاطعة تابعاً لسيده الدوق : وعن الأقطاع الأوربي ونظمه وتقاليده انظر كتاب : كوبلند وفينوجرادوف ، الأقطاع والعصور الوسطى في غرب أوربا ترجمه محمد مصطفى زيادة .

العجوز ، الذي قرر أن يقضي بقية حياته مقاتلاً في سبيل الصليب فنهض بجيشه الكبير مجيباً دعوة البابا ، كما تزعم كونراد ، كندسطبل(١) الأمبراطور هنرى الرابع ، فرقة من المقاتلين ، أما إيدا Ida دوقة النمسا ، وأرملة ليوبولد الثاني Leopold ووالدة النبيل الألماني ليوبولد الثالث ، والتي كانت من أجمل نساء زمانها ، فقد سولت لها نفسها ، بعد زوال شبابها ، أن تقضي ما تبقى من عمرها في خدمة الصليب والقتال في سبيله ، فأنضمت إلى ولف دوق بافاريا . كما أنضم إلى الحملة الألمانية الكونت فردريك أمير بوجين Bogen والأمير هنري صاحب ريجنسبورج Regensburg والأمير برنارد كونت سشيرن Scheyern إضافة إلى الكثير من رجال الدين الألمان وعلى رأسهم رئيس الأساقفة ثييمو Thiemo أسقف سالسبورج Salzburg والأسقف الرتش Ulrich أسقف باسو Passau ، وجيلبرت Giselbert رئيس دير أدمون Admont والمؤرخ أيكهارد Ekkehard رئيس دير أورا Aura الذي يرجع إليه الفضل في القاء الضوء على بعض الجوانب من أخبار هذه الحملة(٢) .

العدد الأجمالي للجيوش الأوربية المحتشدة :

وكيفما كان الأمر فإن عدد الجيوش الأوربية التي زحفت في هذه الحملة تضارع في الضخامة الحملة الصليبية الأولى ، وتبلغ حسبما ذكرته المصادر الغربية زهاء ثلاث مئة ألف(٣) ، الأمر الذي حدا ببعض المؤرخين الصليبيين المعاصرين لهذه الحقبة بأن يصف هذه الحملات الجديدة بالحملة الثانية(٤) ، مما يؤكد مضارعتها للحملة الأولى بل انها أكبر حجماً وأبعد أثراً في تاريخ الحروب الصليبية من الحملة المعروفة في كتب التاريخ باسم الحملة الصليبية الثانية والتي جاءت بعد الأولى بنحو خمسين عاماً أي سنة ٥٤٢هـ/١١٤٦م . كما ذكر ابن الأثير وغيره من

---

(١) الكندسطبل لقب يطلق على كبير موظفي القصر.

(٢) Albert of Aix: p. 562; Gate: op. cit, p. 350; Mayer: op. cit, p. 69; Runciman: op. cit, vol. II p. 27.

(٣) انظر: Gate: op. cit, p. 351, note, 14; Louise and Jonathan, The Crusades, Idea and Reality p. 14.

(٤) Gate : op. cit, p. 344.

المؤرخين المسلمين أيضاً أن عددها ثلاث مئة ألف(١) ، ويتضح من هذه الأعداد الهائلة التي أوردها المؤرخون النصارى والمسلمون على حد سواء ، أن أوربا القت بكل ثقلها في المعركة ضد المسلمين . حتى لو أعتبرنا تلك الأعداد مبالغ فيها ، وأستبعدنا ـ فرضاً ـ أربعة أخماس الأرقام المعطاة من جانب المؤرخين ، فإن الخمس الباقي يصل إلى ستين ألف مقاتل ، وهو رقم بالغ الضخامة بمقياس ذلك العصر ، ولو قدر لنصف هذا العدد فقط أى (٣٠ ألف) الوصول إلى بلاد الشام لتغير ميزان القوى لصالح الصليبيين بصورة حاسمة ولتمكنوا من إحتلال دمشق وحلب وبقية بلدان الشام وهددوا مصر والحجاز والعراق تهديداً خطيراً .

تموين الحملة :

وفيما يتعلق بتموين الحملة ، فقد تزود الصليبيون بالمؤن والذخائر والأموال الكافية بحيث أضحى في مقدورهم شراء ما يلزمهم من الأسواق التي سيمرون بها في طريقهم إلى الشرق . وقد جاءت الأموال عن طريق المتطوعين أنفسهم ومن جانب القادة الأغنياء ، إضافة إلى أن الأساقفة الآخرين حذوا حذو انسلم بويه أسقف ميلان ، وهيو رئيس أساقفة ليون Lyons في فرض الضرائب المالية على رجال الدين التابعين لهم . وقد رأينا أن وليم التاسع دوق اكيتانيا رهن دوقيته إلى وليم روفوس ملك أنجلترا مقابل مبلغ من المال ، كما قيل أنه تخلى عن حقوقه المشكوك في صحتها على تولوز مقابل مبلغ من المال أيضاً(٢) . أما أودو آربين فقد باع إقطاعيته في بورجيه Bourges إلى ملك فرنسا فيليب الأول بمبلغ ٦٠,٠٠٠ سولدى Solidi لتموين حملته . كما توضح الصكوك والوثائق الديرية الباقية الدور

---

(١) ابن الأثير : الكامل ١٠/٣٠٠ ؛ أحمد بن لطف الله المولوى صحائف الأخبار ورقة ٥٩٥ ب ؛ ابن خلدون ٥/٢١١-٢١٢ .

(٢) Gate : op. cit, pp. 351-352.

أما حقوقه المشكوك في صحتها على تولوز فكانت عن طريق زوجته الدوقة فيليبا Philippa التي كانت أبنة الشقيق الأكبر لريموند الصنجيلي أمير إقليم تولوز ، وكان يلزم حسب نظام الأقطاع الأوربي أن ترث فيليبا أقليم تولوز عن أبيها إلا أن عمها ريموند أنفرد بالأقليم عنها

انظر : Runciman: op. cit, vol. II, p. 27.

الكبير الذي قامت به الأديرة في تموين هذه الحروب الصليبية العدوانية ، إذ تشير إلى أن المتطوعين رهنوا أو باعوا حقولهم أو مروجهم وكرومهم إلى تلك الأديرة مقابل الحصول على الأموال ، كما تشير الوثائق إلى الكثير من الهبات الدينية التي قُدِّمت لتموين هذه الحرب(١) .

زحف اللمباردين نحو الشرق :

كان اللمبارديون أول الحشود الصليبية الزاحفة نحو الشرق ، فقد غادروا ميلان في ١٣ سبتمبر ١١٠٠م/٤٩٤هـ بقيادة انسلم بويه رئيس أساقفة ميلان ، والأمير البرت كونت بياندرات وأخيه وغيرهم من القادة ورجال الدين ، وساروا شمالاً فاجتازوا كارنثيا Carenthia ثم نفذوا إلى بلاد ملك المجر وساروا عبر وادي نهر الساف Sava . وبدخولهم بلغاريا أصبحوا داخل حدود الدولة البيزنطية ، فأرسلوا إلى الأمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين مطالبين بفتح الأسواق لهم ومنحهم الأمتيازات بتخفيض الأسعار ، فأجابهم الأمبراطور إلى طلبهم ، وأمر بأن تفتح لهم أسواق المدن التالية : روسا Roussa ، وبانيدوس Panidos ، وديموتيكا Demotika ، وفيليبوبوليس Philippopolis ، وادرنه Adrianale ، ورودستو Rodosto ، وسليمبريا Selymbria وشتى الصليبيون في بلغاريا ، وعلى الرغم من تعهدهم للأمبراطور بالتزام الهدوء فقد أخذوا المواشي والطيور غصباً من الأهالي بدون مقابل ، وشرعوا ينهبون ويسرقون الكنائس ، كما اعتدوا على الأضرحة اليونانية ، وأرتكبوا فيها فظائع قذرة ، وعندما علم الأمبراطور الكسيوس بتلك الأعمال الشريرة ضد رعاياه ، أمر اللمبارديين بالسير قدماً إلى القسطنطينية فأمتثل القادة اللمبارديون لطلبه(٢) .

اللمبارديون يعسكرون قرب القسطنطينية :

وصل اللمبارديون في أوائل مارس ١١٠١م/٤٩٤هـ إلى قرب العاصمة البيزنطية ، وأقاموا معسكرهم عند خليج صغير ، خارج القسطنطينية ، يسمى

(١) Ordoricus Vitalis: op. cit, vol. IV, p. 119; Gate : op. cit, pp. 351-352.

(٢) Albert of Aix: pp. 559-561; Gate: op. cit, pp. 352-353; Runciman, op. cit, vol. II. pp. 18-19.

ذراع القديس جورج Arm of St. George ، حيث مكثوا نحو شهرين ينتظرون الجيوش الأخرى القادمة من فرنسا وألمانيا . ولما طال بهم المقام بدأوا في النهب ، وحـاول الكسيوس أن يدفعهم لعبور مضيق البسفور حيث يمكنهم الأقامة في سيفتـوت Civetot حتى يتحـدوا بالقـوات القادمة ، إلا أن اللمبارديين رفضوا التحـرك فقطع الكسيوس عنهم الأقوات ، وبعد ثلاث أيام من الجوع أخذوا أسلحتهم وهاجموا القصر الأمبراطوري المسمى بلاشيرن Blachornae ، حيث قتلوا أحد أقارب الأمبراطور ، كما قتلوا أسداً أليفاً من أسود الأمبراطور ، وحاولوا فتح أبواب القصر ، فخشى القادة مغبة هذا التصرف الأخرق ، وخرج الأسقف انسلم بويه وكونت بياندرات وغيرهما من القادة وأستطاعوا لم شمل المشاغبين من الفرسان والعامة وعادوا بهم إلى المعسكر ، ثم ذهبوا إلى الأمبراطور معتذرين عما بدر من أتباعهم ، وأقسموا له اليمين أنه ليس لهم يد فيما حدث ، وحاولوا أن يسكنوا غضبه ، ولجأ الأمبراطور إلى عادته المألوفة في تدعيم مطالبه بالهدايا الثمينة لزعماء اللمبارديين ، وظل مصراً على عبورهم مضيق البسفور ، وأخيراً توسط الأمير الصليبي العتيد ريموند الصنجيلي بين الجانبين وأقنع اللمبارديين بالعبور إلى آسيا الصغرى(١) .

الحشود الأخرى تواصل القدوم :

وفي أواخر شهر أبريل ١١٠١م/٤٩٤هـ عبر اللمبارديون مضيق البسفور ، وعسكـروا بالقـرب من نيقـوميديا ، لكي ينتظروا قدوم الحملات الأخرى من

---

(١) Albert of Aix: pp. 559-562; Ordericus Vitalis: op. cit, vol. IV, p. 120;
Gate: op. cit, p. 353; Runciman: op. cit, vol. II. pp, 19-20.
يعتبر ريموند الصنجيلي من أكبر قادة الحملة الصليبية الأولى فقد كان صديقاً للبابا أربان الثاني ولمندوبه أدهيمر ، وقد نافس ريموند بوهمند النورماني على انطاكية إلا أنه فشل في تحقيق هدفه لما عرف عن بوهمند من مكر ودهاء ، كما فشـل في إنشاء أمارة خاصة به في فلسطين بسبب حسد جودفرى صاحب بيت المقدس له . ثم سافر سنة ١١٠٠م إلى القسطنطينية وأصبح صديقاً حميماً للأمبراطور الكسيوس ، والواضح أن الرابطة التي جمعت بينهما هو عداءهما المشترك لبوهمند النورماني .
انظر : Fink, Harold, S: The Foundation of the Latin State, 1099-1118,
in Setton: History of the Crusades, vol. I, London, 1969. pp. 373-376.

الغـرب ، وهناك أعاد الكسيوس إلى الصليبيين شراء المؤن . ثم وصلت فرقة ألمانية بقيادة كونراد ، كندسطبل الأمبراطور هنري الرابع ، والذي سار بفرقته عبر الأراضي اليونانية بدون صعوبة كبيرة ، وبعد أن أستقبله الكسيوس عبر البسفور إلى آسيا الصغرى ، وأنضم إلى اللمبارديين . أما الحشود الفرنسية فقد أخذت تصل تباعاً إلى القسطنطينية بزعامة ستيفن أمير بلوا ، وستيفن كونت برجنديا ، وبلدوين كونت جراندبير ، وهيو أمير بردى ، وهيو أسقف سواسون ، والذين قادوا جيوشهم عبر جبال الألب إلى إيطاليا، ثم عبروا البحر الأدرياتي ، وساروا براً حتى بلغوا القسطنطينية في مستهل شهر مايو ١١٠١م/٤٩٤هـ . وقد أبتهج الفرنسيون بلقاء ريموند في القسطنطينية ، كما سُروا باستقبال الكسيوس لهم . والراجح أن الكسيوس أشار عليهم بأن يكون الكونت ريموند الصنجيلي القائد العام للحملة نظراً لمكانته وخبرته السابقة ، إضافة إلى أنه غدا الآن حليفاً وفياً للأمبراطور(١) .

ومن الواضح أن الأمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين أراد الأفادة من هذه الحملات ، مثلما أفاد من الحملة الصليبية الأولى عندما أستولى على نيقية وكل الجـزء الغربي ، والجنوب الغربي من آسيا الصغرى من الأتراك المسلمين(٢) . ولـذلـك فقـد زودهم بقائده اليوناني الجنرال تسيتاس Tsitas وقوة من الفرسان الـراكبـة تعـرف باسم الـتركبلي(٣) Turcopoles ، تقدر بخمس مئة شخص ،

---

(١) Albert of Aix: pp. 260-263; William of Tyre: op. cit, vol. I, pp. 431-432, Gate: op. cit, p. 354, Runciman: op. cit, vol. II, pp. 20-21.

(٢) Ostrogorsky: History of the Byzantine State p. 364, Ruciman: op. cit, vol. II, p. 14.

(٣) التركبلي : لفظة يونانية معناها أبناء أو سلالة الترك ، وهو مصطلح كان يطلقة البيزنطيون على فرقة من فرق جيشهم كانت تلي في الأهمية فرقة الفرسان ، وينحدر أفرادها من أب تركي ، أو عربي وأم يونانية ، ويبدو أن البيزنطيين عمدوا ـ بعد إتصالهم بالأتراك السلاجقة وإنهزامهم في معركة ملاذ كرد ـ إلى تشكيل هذه الفرقة من الفرسان التي تعتمد ـ تشبهاً بالأتراك ـ على الكر والفر والحرب السريعة ، وعندما مر الصليبيون بأراضي الدولة البيزنطية زمن الحملة الأولى إقتبسوا نظام هذه الفرقة وكونوا لأنفسهم فرقاً كثيرةً تحمل أسم تركبلي لعبت دوراً هاماً في قتالهم مع المسلمـين ثم إقتبست الجيوش الإسـلامية بدورها هذا النظام وكونت فرقاً في جيوشها تحمل أسم تركبلي . ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ تحقيق جمال الدين الشيال ص١٤٩ حاشية رقم(١) ، وأنظر أيضاً : أسامة بن منقذ : كتاب الأعتبار ، نشر فيليب حتى ص٥١ .

ليخدموا الصليبيين كأدلاء[1] ، وليتسلموا منهم ، فيما يبدو المدن التي يجرى إنتزاعها من الأتراك في آسيا الصغرى .

اللمبارديون يقررون غزو بلاد ابن دانشمند :

وعلى الرغم من أن الهدف الرئيسي لهذه الحملات هو الوصول إلى الأراضي المقدسة في الشام ، فإن الخلاف حدث بين الصليبيين حول أي الطرق التي يجب عليهم أن يسلكوها وصولاً إلى الشام . فقد أقترح ستيفن أمير بلوا أن يسلك الصليبيون الطريق الذي سلكته الحملة الصليبية الأولى إلى دوريليوم (إسكي شهر) وقونية ، وأيده في هذا الأقتراح ريموند الصنجيلي وبقية الأمراء الفرنسيين من ذوى الخبرة . كما نصحهم الأمبراطور الكسيوس أن يتخذوا نفس طريق أسلافهم عبر المناطق الساحلية الخاضعة للبيزنطيين ، إلا أن اللمبارديين عارضوا هذا الأقتراح بشدة ، وإنساق خلفهم زعماؤهم ، فقد سمعوا وهم في القسطنطينية بنبأ وقوع الأمير بوهمند النورماني أمير أنطاكية في أسر كمشتكين بن دانشمند وإعتقاله بقلعة نكسار في أقصى شمال شرق الأناضول بجبال بنطس قرب البحر الأسود ، فأعلنوا أنهم يعتبرون بوهمند بطلاً لهم ، وأنه يجب عليهم الذهاب في خط مستقيم إلى جبال بنطس لإطلاق سراحه ، وإنتزاع بلاد ابن دانشمند ، والتي أطلقوا عليها خطأ أسم خراسان ، وأعلنوا صراحة أنهم لا يثقون إلا في بوهمند لأنه ـ من وجهة نظرهم ـ القائد الوحيد الذي سوف يقودهم إلى النصر . وقد أدرك الأمبراطور الكسيوس أن خطة اللمبارديين محفوفة بالأخطار ، لأنه لم يكن يريد أن تلقى الجيوش الصليبية الدمار . ونظراً لأن اللمبارديين كانوا يشكلون أغلبية الجيوش فلم يسع ريموند الصنجيلي وبقية الأمراء الفرنسيين سوى الأذعان لرأى اللمبارديين وقد أمل الكسيوس أن ينجح قائده تسيتاس مع ريموند في كبح جماح اللمباريين والحيلولة بينهم وبين المغامرات

---

(١) Gate: op. cit, p. 354.

الخطرة(١) .

خطة كمشتكين لمواجهة الصليبيين :

المعروف أن أفضل الخطط العسكرية هي التي تؤدي إلى إنزال الهزيمة بالعدو وبأقل قدر ممكن من الخسائر ، وضمان النصر الكامل في المعركة . والمتأمل في سيرة كمشتكين بن دانشمند ، وجهاده ضد الصليبيين يلحظ أنه كان ينتقي من الوسائل والأساليب ما يضمن له تحقيق النصر . فقد طبق أفضل الخطط العسكرية ، فلم يُقدْم على الأشتباك مباشرة بالصليبيين بعد عبورهم مضيق البوسفور ، أو زحفهم من نيقوميديا ، وهو ما حدث زمن الحملة الصليبية الأولى حيث حلت الهزيمة بالسلاجقة ، لذلك أمر ابن دانشمند بإخلاء المدن والبلاد الواقعة على طريق الصليبيين ، وإحراق المؤن والأقوات(٢) ، وذلك حتى يحل الأعياء والتعب والجوع بالصليبيين ، ثم يتم إستدراجهم إلى المناطق الوعرة والحصينة فإذا تعبوا ، إنقض عليهم الأتراك المسلمون بالكمائن . وقد كفلت هذه الأستراتيجية لابن دانشمند الأنتصار الحاسم .

غادر الصليبيون مدينة نيقوميديا ، الواقعة شرقي بحر مرمرة ، في أوائل شهر يونية ١١٠١م/٤٩٤هـ بصحبة ريموند الصنجيلي ، وفرسان التركبلي في طليعة الجيش ، وكانت المؤن وفيرة نظراً لأن الأقليم الواقع شرقي نيقوميديا حتى مشارف أنقرة لا يزال في قبضة البيزنطيين ، وفي وسع الصليبيين شراء ما يحتاجونه ، غير أن أنقرة نفسها كانت من ممتلكات سلطان سلاجقة الروم قلج أرسلان ، فتقدم الصليبيون عبر الجبال ، وهاجموا أنقرة في ٢٣ يونية ١١٠١م/٤٩٤هـ وأستولوا عليها ، وأظهروا ما تجيش به صدورهم وتكنه قلوبهم من بغض الإسلام وأهله ،

---

(١) Anna Comnena : The Alexiad, pp. 355-356;
Albert of Aix : pp. 363-365; Gate : op. cit, p. 354;
Runciman: op. cit, vol. II p. 21; Mayer : The Crusades, pp. 69-70.

(٢) أحمد بن لطف الله المولوي : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٦٩ب ،
Anna Comnena : op. cit, p. 356.

فقتلوا كل من كان بها من المسلمين ، وسلموها للبيزنطيين طبقاً للقسم الذي درج الأمبراطور الكسيوس على إنتزاعه من الأمراء الغربيين(١) . ثم سلك الصليبيون الدرب الذي يتجه صوب الشمال الشرقي إلى مدينة جانجرى Gangra وهي من ممتلكات كمشتكين بن دانشمند في جنوب منطقة بافلاجونيا Paphlagonia كيما يتخذوا الطريق الرئيسي الذي يمر عبر نهر هاليس Halys إلى أماسيا Amasya ومنها إلى نكسار عاصمة ابن دانشمند حيث يقبع بوهمند أسيراً مع أصحابه . ولكن الصليبيين تعرضوا للمتاعب أثناء زحفهم إلى جانجري فقد إنسحب السلطان قلج أرسلان أمامهم ، وشرع يخرب بلاده وعماراته بيده ، حتى لا يجد الصليبيون ما يقتاتون به . وعندما وصل الصليبيون إلى جانجري ، والتي كان يحكمها إسماعيل بن دانشمند من قِبَل أخيه كمشتكين ، وجدوها في غاية الحصانة والمنعة ، ولديها من المؤن ما يكفيها للصمود أمام الحصار مدة طويلة ، فنهب الصليبيون القرى المجاورة وأحرقوها ، على أنهم كانوا يتعرضون بين حين وآخر لغارات خاطفة يشنها الأتراك المسلمون(٢) .

وقاسى الصليبيون من التعب والجوع ، ولم تكن تنقصهم الأموال ولكنهم لم يجدوا الأسواق لشراء الأقوات(٣) . وأزدادت متاعبهم بسبب حرارة شهر يولية الشديدة في هضبة الأناضول ، الأمر الذي دفعهم إلى الأستماع إلى نصيحة الكونت ريموند الصنجيلي الذي أقترح عليهم أن يسيروا نحو الشمال الشرقي إلى قصطمونية التابعة لكمشتكين بن دانشمند للإستيلاء عليها ، والنفاذ منها إلى أحد الموانىء البيزنطية على ساحل البحر الأسود ، نظراً لأن هذا الطريق سوف ينقذ الجيش الصليبي من الدمار المحقق . ويبدو أن ريموند أراد أن يتقرب إلى الأمبراطور البيزنطي إذا أعاد إليه قلعتين كبيرتين هما أنقرة وقصطمونية ولا سيما

---

(١) ابن الأثير : الكامل ١٠/ ٣٠٠ .

Albert of Aix: p. 564; Anna Comnena: op. cit, p. 356;

Gate: op. cit, pp. 354-355; Runciman: op. cit, vol. II p. 22.

(٢) أحمد بن لطف الله المولوى : صحائف الأخبار ورقة ٥٦٩ ب ، ابن الأثير : الكامل ١٠/ ٣٠٠ .

Albert of Aix : p. 564; Gate: op. cit, p. 355; Runciman: op. cit, vol. II, p. 22.

(٣) Gate : op. cit, p. 355.

وأن قلعة قصطمونية كانت تعرف في السابق باسم قلعة كومنين ، وهي الموطن الأصلي لأسرة الأمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين(١) . غير أن رحلة الصليبيين إلى قصطمونية كانت بطيئة وقاسية ، إذ عمد الأتراك المسلمون إلى تدمير كل المحصولات ، إضافة إلى نفاد الماء عبر الصحراء ، فأخذ الصليبيون يعانون الأمرين من نقص الطعام والماء . والعجيب أن البرت الأخيني يذكر أن الأغنياء من الأمراء جلبوا معهم عربة محملة بالمؤن والأغذية من نيقوميديا وسيفتوت تكفيهم وحدهم ، أما الطبقة الدنيا من الصليبيين وهم أكثرية الجيش ، فصار لزاما عليهم أن يطوفوا بالبرية بحثاً عن الطعام في طرق وعرة شحيحة الرزق حيث البلاد القاسية ، وكذلك الأتراك الأقسى . وقد توغلت إحدى الفرق الصليبية في المنطقة المجاورة لقصطمونية بهدف جمع حبوب الشعير الطرية ، والنباتات التي لم تنضج بعد ، والتفاح البري ، فكمن الأتراك المسلمون لهذه الفرقة في أحد الأودية وطوقوها في حرش كبير وأحرقوه عليها وأبادوها عن آخرها(٢) . وتحرك الأتراك المسلمون بسرعة في طريق موازية لطريق الجيش الصليبي ، مرهقين العدو بغارات متكررة ، يشنونها أحياناً على طليعة الجيش وأحياناً أخرى على مؤخرته ، وما كادت مقدمة الجيش الصليبي ، المكونة من سبع مئة من اللمبارديين ، تبتعد عن الجيش حتى تعرضت لهجوم مفاجىء من جانب المسلمين ، ففر الفرسان اللمبارديون في هلع شديد تاركين المشاة يتعرضون للقتل . وتمكن ستيفن كونت برجنديا ، وبصعوبة بالغة من جمع بقايا الطليعة الممزقة وصد المهاجمين المسلمين . ولقد أجبرت هذه الهزيمة الجيش الصليبي أن يسير ككتلة واحدة ، دون أن يكون في مقدور أحد منهم الخروج عن الجيش للبحث عن الطعام أو جمع الحطب ، أو مراقبة تحركات الأتراك المسلمين . وقد تكفل ريموند الصنجيلي وأتباعة من البروفنساليين ، وفرسان التركبلي ، والبرجنديون بحراسة الجيش الصليبي من غارات المسلمين الأتراك المتكررة . وحينما أقترب الجيش الصليبي من قصطمونية أدرك قادته أنه لا سبيل

---

(١) Runciman : op. cit, vol. II, p. 22.

(٢) Albert of Aix: pp. 564-565; Gate: op. cit, p. 355; Runciman: op. cit, vol. II, p. 22.

إلى نجاتهم إلا بالمضى قدماً إلى الساحل ، ولكن اللمبارديين ظلوا على رأيهم بوجوب الذهاب إلى نكسار عاصمة ابن دانشمند للإستيلاء عليها وإطلاق سراح بوهمند . والراجح أنهم أعتقدوا أنهم إذا وصلوا نهر هاليس القريب ، سوف يعثرون على كل ما افتقروا عليه من مؤن وغذاء(١) .

سار الصليبيون وعبروا نهر هاليس ، فوصلوا إلى منطقة صغيرة سكانها من النصارى البيزنطيين (الأرثوذكس) ، فخرج قساوستها بملابسهم الدينية لإستقبال الصليبيين ، وهم يرفعون الأناجيل والصلبان ، ثقة منهم في الغزاة بإعتبارهم نصارى مثلهم ، غير أن أولئك الصليبيين (الكاثوليك) ذبحوا القسس وسائر السكان النصارى بقسوة ووحشية عجيبة ، فما تركوا منهم عيناً تطرف ، ونهبوا بلدتهم . ثم ساروا صوب الشرق إلى مرسيفان Mersivan (٢) . وتكشف هذه المذبحة البشعة المستوى الأخلاقي المنحط الذي كان عليه النصارى الأوربيون في ذلك العصر ، وتعصبهم الأعمى بحيث لم يتورعوا عن قتل إخوانهم النصارى . كما تبرز هذه المذبحة روعة وقيمة الأنتصارات التي أحرزها كمشتكين بن دانشمند على هؤلاء الصليبيين ، فلو قدر لهم الظفر بالمسلمين لما رعوا فيهم إلاً ولا ذمة ، ولجاسوا خلال الديار ولقتلوهم بوحشية لا تقل عما فعلوه بإخوانهم النصارى .

معركة مرسيفان وهزيمة الصليبيين :

ولا ريب أن كمشتكين بن دانشمند كان على علم بأهداف الصليبيين منذ وصولهم إلى القسطنطينية ، ومنذ أن قرر اللمبارديون الزحف إلى عاصمته نكسار لإطلاق سراح الأمير بوهمند ، ومما يبرهن على هذا أنه كان لديه من الوقت ما يكفي لجمع قواته والأستنجاد ببعض الحكام المسلمين . إذ يشير البرت الأخيني إلى أنه قد إنضمت إليه قوات حلبية بعث بها رضوان ملك حلب ، وقراجة أمير

---

(١) Albert of Aix: pp. 565-567; Runciman: op. cit vol. II, pp. 22-23; Gate: op. cit, p. 355.

(٢) Anna Comnena: The Alexiad p. 356.

حران ، وقلج أرسلان صاحب قونية(١) . كما يذكر مؤلف كتاب صحائف الأخبار أن كمشتكين بن دانشمند أستنجد بقلج أرسلان (وغيره من أصحاب الأطراف)(٢) .

ومن الطبيعي أن ينجد قلج أرسلان كمشتكين نظراً لتجاور بلادهما في آسيا الصغرى وتداخلها ، ولأنهما يواجهان مصيراً مشتركاً . أما رضوان صاحب حلب فهو يدين بالفضل - كما رأينا - لكمشتكين بأسره بوهمند عند ملطية ، والذي كان يهدد حلب قبل ذلك ، فأزال كمشتكين خطره عن حلب . بينما كان قراجه يتعرض لخطر أمارة الرها الصليبية الواقعة شمال حران ، ولعل رضوان وقراجه أدركا أن وصول تلك الحملات الضخمة سيقوي كثيراً أمارتي أنطاكية والرها مما يعرضهما لخطر كبير، لذلك بادرا بإرسال عساكرهما لمساعدة كمشتكين في صد تلك الحملات .

ويفهم مما رواه البرت الأخيني وأنا كومنين أن المعارك الحاسمة عند مرسيفان وقعت خلال عدة أيام في أوائل أغسطس ١١٠١م / شوال ٤٩٤هـ وذلك بعد وصول الصليبيين إلى مرسيفان الواقعة في منتصف الطريق بين أماسيا ونهر هاليس(٣) . فقد جهز كمشتكين بن دانشمند جيشه وحلفائه للمعركة ، فأعد الكمائن للصليبيين ، وبنى خطته الرئيسية للمعركة على مهاجمة الصليبيين على شكل موجات من الفرسان الرماة الذين يأتون بسرعة كبيرة إلى قرب الجيش الصليبي فيمطرونه بسهامهم الماضية المصنوعة من السندان والعظام ، ثم يعودون

---

(١) Albert of Aix: pp. 566-567; Gate: op. cit, p. 356; Runciman: op. cit, vol. II, p. 22; Mayer: The Crisades p. 70.

أما وليم الصورى فقد أشار إلى أن المسلمين أحتشدوا من جميع بلدان الشرق لصد الصليبيين . انظر : William of Tyre : op. cit, vol. I, p. 432.

(٢) أحمد بن لطف الله المولوى : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٩٥ ب .

(٣) انظر : Albert of Aix: pp. 567-574; Anna Comnena: The Alexiad. pp. 356-357.

وقد حددت أنا كومنين اليوم الأول الذي حدثت فيه المعركة الأولى بأنه يوم الأثنين بينما يشير البرت الأخيني إلى أن أولى العارك حدثت يوم السبت ، ورغم الأختلاف بينهما في تحديد اليوم إلا أن المعارك حدثت في أوائل أغسطس كما أشرنا في المتن ، على أننا نميل إلى ترجيح رواية البرت في تحديد الأيام لأنه أكثر تفصيلاً في روايته ، بينما تحدثت أنا بايجاز ، إضافة إلى أن البرت أستقى معلوماته مباشرة من الناجين من المعركة .

وتعقبهم موجه أخرى من مكان آخر وهكذا . وهي خطة درج الأتراك المسلمون على إستخدامها وبرعوا في رمي سهامهم التي قلما تخطىء أهدافها بينما كان الصليبيون يعولون على القتال رجل لرجل لإظهار فروسيتهم وتفوقهم في القوة الجسمانية والأسلحة(١) . أى أن الأتراك المسلمين فرضوا أسلوبهم في القتال على الصليبيين . وقد روى الصليبيون الذين نجوا من المعركة ، أنه كلما أتت موجة من تلك الموجات صرخ فرسانها بعبارة مرعبة على طريقتهم(٢) . دون أن يحددوا تلك العبارة التي يهتف بها الأتراك المسلمون . والمعروف أن الصليبيين لا يتحدثون إلا اللاتينية ولا يستطيعون فهم تلك العبارة ، غير أن الأمر الذي لا شك فيه أن تلك الصرخات الرهيبة هي صيحات «الله اكبر» التي أعتاد المجاهدون المسلمون على الهتاف بها في معاركهم ، والتي كانت تثير الرعب في نفوس أعداء الإسلام على مر عصور التاريخ ، ولا سيما إذا صدرت من قلوب مخلصة عامرة بالإيمان .

ولقد أستطاع الصليبيون الصمود خلال مواجهات اليوم الأول رغم ما تكبدوه من خسائر ، وذلك عن طريق التماسك كتلة واحدة حتى لا ينفرط عقدهم . وفي يوم الأحد التالي قاد الكندسطبل الألماني كونراد مع ابن عمه برونو Bruno الفرسان الألمان للبحث عن المؤن والطعام ، فحاصروا قلعة تركية في المنطقة المجاورة لمرسيفان ، ونهبوا كل ما وجدوه فنصب لهم كمشتكين بن دانشمند كميناً ، فوقعوا فيه أثناء عودتهم إلى المعسكر الصليبي ، وأسترد رجال الكمين المسلمين كل الأسلاب التي أخذوها وقتلوا المئات من العساكر الألمان(٣) .

وفي يوم الأثنين حاول رئيس أساقفة ميلان انسلم بويه رفع الروح المعنوية المنهارة بين الصليبيين ، فألقى موعظة على كل الجيش الصليبي مطالباً بأن يعترفوا بذنوبهم ، وعرض عليهم ، ما زعم أنه أثراً مقدساً لأحد القديسين ، وطعاماً مقدساً ، والحربة المقدسة - بزعمهم - والتي جلبها ريموند معه من بلاد

---

(١) Albert of Aix: pp. 567-568; Runciman: op. cit vol. II, pp. 23-24; Gate: op. cit, p. 356.

(٢) Albert of Aix: p. 568; Gate: op. cit, p. 356.

(٣) Albert of Aix: pp. 567-570; Gate: op. cit, p. 356; Runciman: op. cit, vol. II, p. 23.

الشام(١) . وبعد سماع موعظة انسلم بويه انتظمت الحشود الصليبية في خمسة جيوش مقاتلة هي : اللمبارديون ، والبرجنديون ، والألمان ، والفرنجة الغربيون ، وريموند وأتباعة من البروفنساليين . وأتخذ اللمبارديون مواقعهم في مقدمة الجيوش . وكان كمشتكين بن دانشمند قد رتب خطته بإحكام ، فتقدم بقواته وأشتبك مع الصليبيين في قتال شديد ، فأنزل الهزيمة باللمبارديين الذين ولوا الأدبار مع قائدهم البرت كونت بياندرات ، فأنفرط عقد الجيش الصليبي ، ورغم أن الفرسان الألمان والفرنجة قاتلوا إلى بعد الظهر ، فإنهم أدركوا أن الموت المحقق ينتظرهم بعد أن شرع الأتراك المسلمون يحصدونهم بنبالهم وسيوفهم حصداً ، فأنهزموا قرب الغسق إلى معسكرهم ، ولكن المسلمين طاردوهم وطوقوا المعسكر بكاملة وأغلقوا كل المنافذ أمام الصليبيين ، فلم ينج من الحصار إلا الفرسان الذين نجوا على خيولهم القوية السريعة قبل إكتمال تطويق المعسكر ، حتى أن الكونت ريموند الصنجيلي إتخذ له ملجأً على صخرة ، ولم ينقذه إلا ستيفن أمير بلوا والكندسطبل كونراد ، ثم تقدم الأتراك المسلمون إلى داخل المعسكر الصليبي شاهرين سيوفهم ، فحصدوا المشاة الصليبيين مثلما تحصد النباتات الناضجة وغنموا كل ما في المعسكر من نساء وأطفال وأموال ومتاع(٢) . ويعلق بعض الباحثين الغربيين على هروب الفرسان الصليبيين وتركهم نسائهم

---

(١) الحربة المقدسة : بعد أن أستولى الصليبيون على أنطاكية زمن الحملة الأولى . جاءت قوات المسلمين بقيادة كربوغا أمير الموصل فحاصرت الصليبيين داخل أنطاكية حصاراً شديداً أستمر زهاء خمسة وعشرين يوما حتى عدمت الأقوات داخل أنطاكية وأضطر الصليبيون إلى أكل الميتان وأوراق الشجر . وخلال ذلك زعم أحد أتباع ريموند الصنجيلي ويدعى بطرس بارثـولـوميو Peter Bartholomeu أنه رأى في المنام أحد القديسين وأخبره أن الحربة المقدسة التي أخترقت جسد المسيح عليه السلام مدفونه في كنيسة أنطاكية ، وأنه يجب على الصليبيين البحث عنها لأن إنتصارهم مرتبط بالعثور عليها .

والواضح ان بارثولوميو هذا قد دفن قضيباً من الحديد بإيعاز من سيده ريموند ، ثم أخذ الصليبيون يبحثون عن الحربة المزعومة فأكتشفوها بعد بضعة أيام ، فتأثروا كثيراً وأرتفعت روحهم المعنوية فخرجوا لقتال كربوغا وهزموه هزيمة ساحقة في ٢٥ رجب ٤٩١هـ/٢٨ يونيه ١٠٩٨م . أنظر ابن الأثير : الكامل ١٠/ ٢٧٧ .

Runciman: op. cit, vol. I, pp. 242-246

باركر : الحروب الصليبية ص ٣٥ .

(٢) Albert of Aix: pp. 570-573; Anna Comnena: op. cit, pp. 356-357; Gate: op. cit, pp. 356-357; Runciman: op. cit, vol. II, p. 24; Mayer: The Crusades p. 70.

وأطفالهم ومشاتهم ليقعوا في أيدي المسلمين ، بأن ذلك مضاد لفضائل الفروسية الغربية(١) . ولكننا نقول أنه مهما تكن فضائل الفروسية الغربية وما تفرضه على الفارس من شجاعة وإقدام ، فليس بوسع تلك الفروسية وصفاتها الصمود أمام سهام الإسلام المؤمنة .

وبعد الأنتهاء من المعسكر الصليبي طارد الأتراك المسلمون بزعامة البطل كمشتكين الهاربين من الصليبيين فقتلوا عدداً من الأمراء منهم بلدوين أمير جراندبير ، ودودو أمير كليرمون ، وولبرت صاحب لون ، وايرالدوس Eraldus وانجيوراند Enguerrand صاحبا شالون سور مارن Chalons-Sur-Marn ، وأرنولف Arnulf وولتر Walter صاحبا شاتيلون Chatillon ، وهؤلاء جميعاً من شمالي فرنسا مما يشير إلى أن الجيوش الأخرى دفعت ثمناً مساوياً ، غير أن كبار القادة نجحوا في الهرب وعلى رأسهم ريموند الصنجيلي الذي أتخذ طريقه مع بعض حراسه في صحبة الجنرال البيزنطي تسيتاس إلى ميناء بافرا Bafra ، الواقع عند مصب نهر هاليس في البحر الأسود ، ومن هناك إلى ميناء سينوب Sinop حيث أستقلوا سفينة إلى القسطنطينية ، أما ستيفن كونت برجنديا ، وستيفن أمير بلوا وغيرهم من الفرسان ورجال الدين فقد أرتدوا بصعوبة عبر نهر هاليس حتى وصلوا ميناء سينوب ، ثم ساروا بمحاذاة الساحل إلى القسطنطينية . ولقد كانت خسائر الصليبيين جسيمة بحيث بلغت في صفوف المقاتلين زهاء أربعة أخماس الجيش الصليبي . أي نحو ٨٠٪ من القوات الصليبية . ولم ينج من اللمبارديين سوى القادة فقط . بينما وقع المعسكر الصليبي بما حواه من نساء وأطفال وأموال في أيدي المسلمين ، كما أستبقى ابن دانشمند عدداً من الجنود الأسرى الصليبيين لأستعراضهم في بلاده كدليل على إنتصاره الساحق(٢) .

وصل الفرسان الصليبيون الباقون على قيد الحياة إلى القسطنطينية في حالة يرثى لها من التمزق ، فأستقبلهم الأمبراطور الكسيوس وقدم لهم الخلع والهدايا

---

(١) Gate: op. cit, p. 357.

(٢) Albert of Aix: pp. 573-574; Anna Comnena: op. cit, p. 357; Gate: op. cit, p. 357; Runciman: op. cit, vol. II, p. 24; Mayer: The Crusades p. 70.

والنقود وبعد أن أستراحوا زودهم بسفينة للذهاب إلى بيت المقدس . أما رئيس أساقفة ميلان انسلم بويه الذي حشد شعبه - كما رأينا - إستجابة لدعوة البابا ، فبعد أن رأى جهوده تذهب أدراج الرياح ، وشاهد حشوده تحصد في سوح الوغى بسهام وسيوف المجاهدين المسلمين بقيادة كمشتكين بن دانشمند ، تأثر ومرض بسبب ذلك ، ومات كمداً في ٣٠ سبتمبر ١١٠١م/٤٩٤هـ ودفن بالقسطنطينية(١) .

الصليبيون يبررون هزيمتهم :

ولم يشأ الصليبيون الحديث عن بطولات الأتراك المسلمين بقيادة كمشتكين بن دانشمند وما قاموا به من جهاد ملحمي ضد الصليبيين ، وما طبقوه من خطط بارعة لتحقيق النصر . لذلك بحث الصليبيون عن كبش فداء يلقون عليه تبعة الهزيمة الساحقة التي حلت بهم على يد البطل المسلم كمشتكين بن دانشمند ، فأعتبروا الأمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين خائناً ، وأنه عمد إلى تضليل الجيوش الصليبية في آسيا الصغرى لتلقى حتفها بيد الأتراك المسلمين(٢) ، حتى أن وليم الصورى بعد أن أعترف بكرم الأمبراطور تجاه الصليبيين وما أسبغه عليهم من هدايا ، أستدرك قائلاً إن الكسيوس (حسد النصارى على نجاحهم وأنتوى أن يلحق بهم الأذى فأرسل من قبله مبعوثين سراً إلى الترك طالباً إليهم أن يفتكوا بالحجاج) وزعم أنه أخبر الأتراك بإقتراب الصليبيين مما أتاح الفرصة للأتراك لأن يفتكوا بهم ثم يقول إن الكسيوس : (لعب دور العقرب التي حينما تواجه وجهاً لوجه تكون غير مؤذية ولكن ذيلها هو المسلح بلدغة سامة . . .)(٣) . كما أعتبر الصليبيون ريموند الصنجيلي خائناً أيضاً لأنه - في رأيهم - إنما كان ينفذ تعاليم الأمبراطور ، وزعموا أن ريموند تلقى الرشوة من الأتراك فقاد الجيش الصليبي إلى الهلاك ، وأتهموه بأنه أول من هرب من المعركة(٤) . غير أن هذه الأتهامات

---

(١) Albert of Aix; p. 574; Anna Comnena: op. cit, p. 357, Gate: op. cit, p. 357.

(٢) Albert of Aix: pp. 274, 582; Gate: op. cit, pp. 357-366.

(٣) William of Tyre: op. cit, vol. I, p. 432.

(٤) Albert of Aix: p. 574; Gate: pp. 355, 357.

ليست حقيقية وتفتقر إلى المصداقية . فالأمبراطور الكسيوس لم يكن من مصلحته دمار الجيوش الصليبية بأيدي الأتراك المسلمين لأن ذلك يؤدي إلى إزدياد نفوذ المسلمين وقوتهم في آسيا الصغرى الأمر الذي يهدد الأمبراطورية البيزنطية نفسها . إضافة إلى أن ما يمكن أن ينتزعه الصليبيون من آسيا الصغرى سوف يعود للبيزنطيين مثل أنقرة التي تسلموها بعد الأستيلاء عليها مباشرة . كما أنه لو قدر للصليبيين الظفر على الأتراك المسلمين في آسيا الصغرى فسوف يفيد من ذلك البيزنطيون ويحاولون أخذ زمام المبادرة وأحتلال آسيا الصغرى بكاملها وطرد الأتراك المسلمين منها ، والذين لم يفتحوها ويستوطنوا فيها إلا منذ أقل من نصف قرن ، حيث كانت قبل ذلك ولقرون طويلة جزءاً رئيساً من الدولة البيزنطية . وفوق هذا وذاك ، فمهما تكن الخلافات المذهبية بين البيزنطيين والصليبيين فإن الدين يجمعهم بأعتبارهم نصارى ، ويوحدهم العداء المشترك للإسلام وأهله . ومما يزكي هذا الرأي أن أنا Anna أبنة الأمبراطور الكسيوس كومنين ذكرت في كتابها صراحة أن والدها نصح الصليبيين أن يسلكوا الطريق الذي سلكه أسلافهم من قبل عبر المناطق الساحلية ، ولكنهم أعرضوا عن نصيحته(١) . وأثناء حديثها عن هزيمتهم عند مرسيفان علقت بتهكم قائلة : (وخلال هروبهم إلى معسكرهم تشوفوا إلى نصيحة ، على أن أروع الأباطرة ـ تقصد والدها ـ وضع أمامهم الطريق الأفضل وهم الذين رفضوا أن يسمعوا)(٢) . أما ريموند فرغم إتهام البرت الأخيني له بالخيانة وتسلم الرشوة من الأتراك ، فإنه لا يمكن التسليم بهذا الرأي ، فقد كان ريموند منذ البداية معارضاً لمسير الحملة إلى بلاد كمشتكين بن دانشمند ، فلم يكن من مصلحته أبداً إطلاق سراح منافسه العنيد بوهمند الذي فاز بانطاكية وحده ثم طرد أتباع ريموند منها . إضافة إلى ما عرف عن ريموند من تمسك شديد بنصرانيته ، فلا يعقل أن يخون دينه ، وهو الذي حارب في سبيل الصليب ضد المسلمين في الأندلس ثم شارك في الحملة الصليبية الأولى وكان من أكبر قادتها وأكثرهم جاهاً وثروة كما أنه ما جاء إلى القسطنطينية إلا إلتماساً لمساعدة الأمبراطور كي يعود إلى بلاد الشام للتوسع على حساب المسلمين ثم

---

(١) Anna Comnena : The Alexiad, p. 355.

(٢) Ibid: pp. 356-357.

أستمر مقاتلاً في سبيل الصليب مؤثراً خدمته على العودة إلى أمارته الغنية في أوربا وما له فيها من جاه وثروة فأستولى على انطرسوس شمالي طرابلس وأتخذها قاعدة بهدف الأستيلاء على طرابلس ، وظل يعمل على تحقيق هدفة حتى مات عند طرابلس سنة ٤٩٩هـ/ ١١٠٥م(١) .

حملة وليم الثاني أمير نيفر :

وكيفما كان الأمر فلم تكن الجيوش الصليبية التي هزمت عند مرسيفان هي كل الحملات التي جردتها أوربا النصرانية سنة ٤٩٤هـ/١١٠١م ، فقد غادرت تلك الجيوش نيقوميديا صوب الشرق في أوائل يونية ١١٠١م ، قبيل وصول بقية الجيوش الأخرى . فبعد بضعة أيام قليلة من مغادرة اللمبارديين والفرنسيين نيقوميديا وصل جيش فرنسي جديد بقيادة وليم الثاني كونت نيفر ، حيث يشير عقد دير موليزم Molesme إلى أن وليم كان يتأهب للرحيل منذ أواخر يناير ١١٠١م . وبعد أن أكمل أستعداده قاد جيشه منحدراً من طريق إيطاليا إلى برنديزى Brindisi في الجنوب وعبر البحر الأدرياتي إلى أفلونا Avlona باليونان ثم سلك طريق تسالونيكا Thessalonica ، وهو نفس الطريق الذي أتبعه بوهمند النورماني زمن الحملة الصليبية الأولى ، وقد أحتفظ جيش وليم بأنضباط ممتاز ، ولقي معاملة كريمة من الأهالي ، وبلغ القسطنطينية في ١٤ يونية ، وقد أستقبل الأمبراطور هؤلاء الصليبيين بلطف ومنحهم موقعاً للأقامة على ذراع القديس جورج ، إلا أنه بعد ثلاثة أيام أصر أن يعبروا مضيق البسفور حيث عسكروا على الجانب الشرقي منه ، بينما كان قائدهم وليم يومياً ضمن الحاشية في بلاط الأمبراطور(٢) .

معركة هرقلة الأولى :

وفي الوقت الذي أخذت فيه قوات وليم كونت نيفر تعبر البسفور بدأت طلائع

---

(١) William of Tyre: op. cit, vol. I, p. 431;
Fink: The Foundation of the Latin States, 1099-1118, pp. 392-396; Runciman: op. cit, vol. II, pp. 56-61.

(٢) Albert of Aix: pp. 574-575; Gate: op. cit, p. 358.

الجيوش الصليبية الأخرى تصل تباعاً إلى القسطنطينية بقيادة ولف الرابع دوق بافاريا ، وأيدا دوقة النمسا ، ووليم التاسع دوق اكيتانيا وغيرهم من الأمراء . وكان من الطبيعي أن ينتظر وليم كونت نيفر إكتمال وصول تلك الجيوش الجديدة لينضم إليها ، ولكنه لم يفعل ، وقاد عساكره مسرعاً إلى سيفتوت ، ثم أقتفى أثر اللمبارديين والفرنسيين على أمل اللحاق بهم ولا سيما وأن دوق برجنديا جاره في الوطن ، ويمكن له أن يتحد معه . غير أن وليم لم يصل إلى أنقرة إلا في أواخر شهر يوليه ، وأخبره البيزنطيون في أنقرة أنهم لا يعلمون الجهة التي قصدها الصليبيون ، وأدرك أنه من المستحيل اللحاق بهم . وبعد أن توقف يوماً عند أنقرة ، أتخذ طريق الجنوب بأتجاه قونية حيث يمكنه إنتظار بقية الجيوش القادمة(١) .

سار وليم كونت نيفر بجيشه جنوباً ، وصادفته صعوبات جمة من نقص المؤن وإنعدام الطعام ومياه الشرب بسبب ما أصاب هذه المناطق من دمار شامل زمن الحملة الصليبية الأولى . ورغم ذلك فقد سار جيش وليم بنظام كامل وبلغ مشارف قونية في منتصف أغسطس ١١٠١م/ ٤٩٤هـ . أي بعد معركة مرسيفان بحوالي عشرة أيام . وحاول وليم الأستيلاء على قونية ، والتي كانت تحرسها حامية إسلامية تركية ، ولكنه أخفق في الأستيلاء عليها بسبب المقاومة الباسلة التي أبداها رجال الحامية المسلمون ، والذين لم يكتفوا بالدفاع فقط ، بل شنوا هجمات خاطفة على الجيش الصليبي . وبعد ثلاثة أيام من الكر والفر ، ترك وليم قونية ومضى نحو هرقلة الواقعة إلى الشرق منها . وعلم كمشتكين بن دانشمند ـ عن طريق كشافته فيما يبدو ـ بقدوم هذا العدو الجديد ، فأغذ السير جنوباً لمواجهته ، وأنضم إليه قلج أرسلان بنفسه لأن قونية وهرقلة من ممتلكاته(٢) .

---

(١) Albert of Aix: pp. 575-576; Gate: op. cit, pp. 358-359; Runciman: op. cit, vol. II, p. 26.

(٢) Albert of Aix: pp. 575-576; Gate: op. cit, p. 359; Runciman: op. cit, vol. II, p. 26.

والمعروف أن قلج أرسلان خسر عاصمته نيقية (أزنيق) زمن الحملة الصليبية الأولى فأتخذ من مدينة قونية عاصمة له وظلت عاصمة لسلاجقة الروم حتى زوال دولتهم . انظر :

The Cambridge History of Islam, vol. I, A. pp. 238-239.

كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٧٢-١٧٣ .

وسار القائدان المسلمان بسرعة عبر قيسارية Caesrea ونكده Nigda (١) ، فوصلا هرقلة قبيل وصول الصليبيين إليها . وكانت الروح المعنوية للأتراك المسلمين في ذروتها بسبب ما أحرزوه من نصر ساحق عند مرسيفان . وقام كمشتكين بن دانشمند وقلج أرسلان بتدمير مصادر المياه فطماً الآبار الواقعة على أمتداد الطريق . وبعد أن أرهق المسلمون الصليبيين بالعطش عدة أيام ، طوقوهم ، وبعد معركة قصيرة الأمد أنهزم الصليبيون هزيمة ساحقة ، وفر الفرسان الصليبيون تاركين المشاة والنساء والأطفال ، ومثلما حدث عند مرسيفان حصد المسلمون المشاة الصليبيين ، وسبوا النساء والأطفال . أما وليم كونت نيفر وأخوه ، وحامل رايته وليم أمير مودينا Modena ، فقد هربوا مع جماعة من الفرسان نحو الجنوب الغربي وظلوا أياماً عديدة يهيمون على وجوههم عبر جبال طوروس إلى أن بلغوا قلعة بيزنطية تسمى جرمانيكو بوليس Germanicopolis تقع إلى الشمال الغربي من سلوقية ، وهناك استأجروا بعض فرسان التركبلي الأمبراطورية ليرشدوهم إلى أنطاكية . غير أن فرسان التركبلي عندما أكتشفوا إفلاسهم من المال سلبوهم خيولهم وثيابهم وتركوهم عرايا فسار هؤلاء الصليبيون مشياً على الأقدام حتى وصلوا أنطاكية في حالة مزرية فأستقبلهم تانكرد وأستضافهم في بلاطه ومكث وليم كونت نيفر في أنطاكية خلال فصل الشتاء حتى أنضم إليه بقية الهاربين من الجيش الثالث المهزوم(٢) .

الحملات الأخرى تتجه صوب الدولة البيزنطية :

بينما كان وليم الثاني كونت نيفر يعبر بجيشه مضيق البسفور إلى آسيا الصغرى، بدأت القوات الصليبية الأخرى تتدفق نحو القسطنطينية فقد قاد وليم التاسع ،

(١) قيسارية (أو قيصرية) مدينة مشهورة في آسيا الصغرى تقع جنوب نهر هاليس شمال قيليقية وهي العاصمة الثانية لسلاجقة الروم بعد قونية ، انظر : القزويني : أثار البلاد وأخبار العباد ص٥٥٣-٥٥٤ ، ياقوت : معجم البلدان ، كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص١٧٤ والخارطة رقم٤ ، ونكده : مدينة تقع شرقي قونية : انظر : لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص١٧٤-١٧٥ .

(٢) Albert of Aix: pp. 576-578; William of Tyre: op. cit, vol. I, p. 432; Gate: op. cit, p. 359; Runciman: op. cit, vol. II, p. 26.

وبقية الأمراء الفرنسيين ، جيوشهم في أواسط مارس ١١٠١م/ ٤٩٤هـ وزحفوا عبر شمالي إيطاليا وكارنثيا Carinthia ، وفي الطريق إنضم إليهم الجيش الألماني الرئيسي الذي قاده ولف الرابع دوق بافاريا ، والذي شرع في الرحيل من بلاده في الأول من أبريل ١١٠١م . وشقت القوات الصليبية المتحدة طريقها بسلام عبر هنغاريا ، وواصل الصليبيون السير بإزاء نهر الدانوب إلى بلغراد ، حيث جرى لهم إستقبال حافل من جانب مبعوثي الأمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين . غير أن بعض عناصر الصليبيين أقترفوا أعمالاً شريرة ضد الأهالي ، وأنشبوا القتال مع البلغار ، مما دفع السلطات البيزنطية إلى إصدار الأوامر إلى قواتها المرتزقة من البشناق Pechenegs والكومان Kumans بالتصدي لعدوان الصليبيين ، غيرأن أولئك المشاغبين جرحوا قائد البلغاريين غوزه Guzh ، مما أثار حفيظته فسبقهم إلى أدرنه لمنعهم من الدخول إليها ، ولما وصل الصليبيون إلى أدرنة وجدوا قوات غوزه تعترض سبيلهم ، فهاج الصليبيون وهاجموا ضواحي المدينة ، وحاولوا دخولها عبر الجسر ، فقُتِلَ بعض أمراء الصليبيين ووقع في الأسر آخرون ، ولكن الصليبيين أسروا غوزه ، فجرت المفاوضات بين الصليبيين والبيزنطيين وتم الصلح وتبادل الجانبان الأسرى ، وسمح غوزه للصليبيين بالدخول إلى مدينة أدرنه لشراء المؤن وزودهم بحرس قادوهم إلى القسطنطينية(١) .

وصولهم إلى القسطنطينية :

وصل الجيش الصليبي الرئيسي إلى العاصمة البيزنطية في أوائل يولية ١١٠١م / ٤٩٤هـ وأزداد عدده خلال الأسبوعين التاليين نتيجة الوصول اليومي للعساكر الباقية . وقد أستقبل الأمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين أمراء الصليبيين وكأنهم أبناؤه فأحسن إستقبالهم ، وبخاصة ولف دوق بافاريا وايدا دوقة النمسا ، فغمرهم بالهدايا والأموال ، ولكنه إنتزع منهم يمين الولاء ، وأن

(١) Albert of Aix: pp. 579-580; Gate: op. cit, pp. 359-360.

يعيدوا إليه كل البلاد التي ينتزعونها من الأتراك المسلمين في آسيا الصغرى(١) .
وهذا القسم شبيه بذلك الذي إنتزعه من زعماء الحملة الصليبية الأولى قبل أربع سنوات . كما وزع الأمبراطور الكسيوس النقود على الطبقة الدنيا من الصليبيين ، وأمر بتخفيض الأسعار لتكون متاحة للجميع . على أنه عمد في الوقت نفسه إلى حث الصليبيين على عبور مضيق البسفور حتى يتجنب ما حدث من اللمبارديين قبل أسابيع قليلة ، ولكن الصليبيين مكثوا نحو خمسة أسابيع في ضواحي القسطنطينية ، كيما يشتروا المؤن اللازمة للرحلة . وخلال تلك المدة كان الأمراء يقابلون الأمبراطور في مجلسة اليومي . ولم يسمع الصليبيون أثناء ذلك شيئاً عن اللمبارديين ومن معهم من الفرنسيين ، فخامرهم الشك والأرتياب ، وظنوا أن البيزنطيين دفعوا إخوانهم الصليبيين بالقوة إلى بلاد الأتراك المسلمين قبل وصول الجيوش الجديدة ، حتى أن بعض الألمان أرتابوا في نوايا الأمبراطور الكسيوس وأعتقدوا أنه سوف يسلمهم إلى الأتراك ، فأصابهم الرعب ، وباعوا خيولهم ، واستأجروا بثمنها سفناً للوصول بحراً إلى الأرض المقدسة في بلاد الشام ، ولكن مبعوثي الكسيوس أوضحوا لهؤلاء الصليبيين أنه لا مبرر لمخاوفهم وأنه لو كان يريد القضاء عليهم ، فإن في مقدوره أن يأمر أسطوله بتدميرهم في عرض البحر ، مما أقنع الكثير منهم فنزلوا من السفن إلى البر وشرعوا في التجهز من جديد للرحلة البرية(٢) .

ولا شك أن هذا الأنذار الذي وجهه الكسيوس للصليبيين الذين أرادوا

---

(١) Ordericus Vitalis: op. cit, vol. IV, p. 123; Matthew of Edessa: p. 58; Gate: op. cit, p. 360; Runciman: op. cit, vol. II, p. 27; Mayre: The Crusades, p. 70.

ويصور بعض المؤرخين وليم التاسع دوق اكيتانيا كدوق صغير متعجرف رفض أن يؤدي القسم للأمبراطور وأنه ساق الأهانات للأمبراطور بدون مبرر ويبدو أن عناية الأمبراطور بأستقبال ولف دوق بافاريا وايدا دوقة النمسا وإكرامه لهما أثار حفيظة وليم التاسع ، على أنه لم ترد في المصادر معلومات عن وقوع إضطرابات بسبب ذلك .

(٢) Ordericus Vitalis: op. cit, vol. IV, p. 123; Matthew of Edessa, pp. 558-559; Gate: op. cit, pp. 360-361.

وقد وصف المؤرخ الألماني ايكهارد بإنفعال واضح الأرتباك الرهيب الذي أصاب الجيش الألماني حيث إنقسم إلى مجموعتين مجموعة ظلت مع جيش اكيتانيا وأخرى قررت إتخاذ طريق البحر ، ورغم تراجع الكثير من الألمان ونزولهم من السفن إلا أن جماعة كبيرة واصلت السير بحراً فوصلوا إلى يافا بعد ستة أسابيع وضمنهم المؤرخ ايكهارد نفسه . انظر:
Gate: op. cit, p. 361.

الذهاب بحراً ، يدحض كل الأتهامات التى أشاعها الصليبيون ضده ، والقائلة بأنه أوعز إلى الأتراك بالقضاء عليهم ، حيث يتضح من هذا الأنذار ومن القسم الذي إنتزعه من قادتهم أنه كان يريد أن يفيد منهم باسترداد آسيا الصغرى من الأتراك المسلمين .

العبور الى آسيا الصغرى :

وعلى أية حال فان كبار الأمراء الألمان بزعامة ولف دوق بافاريا ، وأكثرية أتباعهم أختاروا الزحف براً مع الفرنسيين . وعبرت القوات الصليبية المتحدة مضيق البسفور في منتصف شهر يولية ١١٠١م/٤٩٤هـ بعد أن حصل الصليبيون من الأمبراطور الكسيوس على فرقة من الأدلاء التركبولية . وكان في إمكان هذه القوات الأتحاد مع قوات وليم كونت نيفر إلا أن هذا الأخير لم ينتظرها وأغذ السير محاولاً اللحاق بجاره كونت برجنديا واللمبارديين وريموند الصنجيلي للإنضمام إليهم(١) . وسار وليم التاسع دوق اكيتانيا وولف الرابع دوق بافاريا بقواتها من الفرنسيين والألمان على نفس الطريق الذي سلكته الجيوش السابقة نحو بلاد كمشتكين بن دانشمند فأجتازوا نيقوميديا ونيقية ومن هناك إلى اكشيهير Akshehir التي وصلوها في ١٠ أغسطس ١١٠١م/٤٩٤هـ ، فنهبوها ودمروها تدميرا شاملاً ، ثم أتخذ الصليبيون طريقهم نحو مدينة قونية للألتقاء بوليم كونت نيفر . والراجح أن كونت نيفر أرسل إلى وليم التاسع وولف يواعدهم على اللقاء عند قونية بعد أن فقد الأمل في اللحاق بكونت برجنديا واللمبارديين . ومن اكشيهير إلى قونية شرعت سرايا الفرسان الإسلامية تنقض على الصليبيين في هجمات خاطفة متكررة دون أن تجازف بالأشتباك مع العدو في قتال التحامي طبقا

---

(١) يرى جيت Gate أن وليم التاسع دوق اكتانيا وولف دوق بافاريا كانا يأملان أيضاً في الأنضمام إلى اللمبارديين ودوق برجنديا وريموند الصنجيلي لذلك قررا المضي إلى جبال بنطس قاعدة بلاد ابن دانشمند ، انظر : Gate: op. cit, p. 361 ، أما رنسيمان Runciman فيرى عكس ذلك تماماً ، فيعتقد أنه لم يكن من المتوقع أن ينضم وليم التاسع دوق اكيتانيا إلى جيش يشرف عليه عدوه القديم ريموند كونت تولوز ، كما أن ولف دوق بافاريا كان عدواً قديماً للأمبراطور هنري الرابع أمبراطور ألمانيا ولذلك لم يكن يميل إلى كنراد كندسطبل هنري الرابع ، ولذلك سار الدوقان في بطء انظر : Runciman: op. cit, vol. II, p. 28.

للأستراتيجية التي أتبعها كمشتكين بن دانشمند منذ دخول الصليبيين إلى بلاده . وأزدادت متاعب الصليبيين سوءاً بعد أن أخذت المؤن التي جلبوها من القسطنطينية في النفاد ، كما عمد الأتراك المسلمون إلى حرق النباتات الناضجة ، ودمروا خزانات المياه وطموا الآبار والعيون الواقعة على طول الطريق ، إضافة إلى أن إجتياز جيش وليم كونت نيفر بهذا الطريق قبل أيام قليلة قضى على ما بقي من مؤن قليلة يمكن الحصول عليها . وأعتبر الصليبيون البيزنطيين مسئولين عن ذلك بصفة خاصة . أما رجال الحامية الإسلامية في قونية وسكانها فعندما أدركوا أن هذا الجيش الصليبي الجديد يفوق جيش كونت نيفر ، الذي صمدوا في وجهه ، قرروا إخلاء المدينة ، وحملوا معهم كل ما فيها من مواد غذائية ، وجردوا بساتين الفاكهة والحدائق بضواحي قونية من ثمارها . ولما وصل الصليبيون إلى قونية لم يجدوا بها إلا القليل الذي ينعشهم . وحوالي تلك اللحظة التي دخلوا فيها قونية كان البطل كمشتكين بن دانشمند وقلج أرسلان على بعد مئة ميل من قونية ينزلان العقاب الصارم بعساكر كونت نيفر(١) .

معركة هرقلة الثانية :

أينعت ثمار الخطة التي طبقها المسلمون ، والمرتكزة على طم الآبار وتدمير مصادر المياه وحرق حقول الحبوب حتى لا يفيد منها الصليبيون ، ولا سيما بأخلاء قونية وبساتينها من الأقوات والثمار . وأتت تلك السياسة أكلها ، فما أن طفق الصليبيون في أوائل سبتمبر ١١٠١م/٤٩٤هـ يشقون طريقهم من قونية متجهين صوب هرقلة حتى بدأوا يعانون صعوبات جمة ، ويكابدون عقبات قاسية ، فقد أشتد بهم العطش والجوع عبر الصحراء الواقعة بين قونية وهرقلة . وكان الفرسان المسلمون ينقضون من حين لآخر على جوانب الجيش الصليبي ، ويطلقون سهامهم على قلب الجيش ويعودون أدراجهم . كما قتلوا كل الذين خرجوا من صفوفه للبحث عن الحطب أو ضلوا الطريق . وعندما وصل الصليبيون إلى مدينة

(١) Albert of Aix: p. 580; Gate: op. cit, p. 361; Runciman: op. cit, vol. II, p. 28.

هرقلة وجـدوا سكـانها قد أخلوها بكل ما فيها ، مثلما حدث في قونية ، وكان كمشتكين بن دانشمند وقلج أرسلان يعرفان جيداً متاعب الصليبيين وما أصابهم من عطش شديد ، فهما اللذان خططا لأستدراج الصليبيين إلى المكان والوقت المناسبين ، فكمنا برجالهما داخل النباتات على ضفة النهر الجارى خلف مدينة هرقلة ، وهو أحد الأنهار الأناضولية القليلة التي تظل تتدفق بغزارة خلال فصـل الصيف . وأصبـح المحـاربون الصليبيون كالكلاب المسعورة من شدة العـطش ، ولما شاهدوا مياه النهر تلمع وراء المدينة حلوا صفوفهم وأندفعوا في صخب شديد يصطرخون صوب النهر ، وهم لا يعلمون أن مصارعهم تنتظرهم على ضفافه(١) .

لزم المسلمون ، بقيادة كمشتكين بن دانشمند وقلج أرسلان ، أماكنهم في سكون تام داخل الغابات الكثيفة على طول ضفة النهر ، وبمجرد ما أن أقترب العدو من الماء ، حتى أطلق عليهم المسلمون وابلاً كثيفاً من السهام ، وحملوا عليهم بقـوة ، فلم يستـطع الصليبيون الـوقـوف أمام الهجوم الكاسح لأبطال الإسـلام ، فاضطربوا ، وشُدهوا من هول المفاجأة ، فأرتدوا على أعقابهم بلا نظام ، وتقدمت بعض كتائب المسلمين خلف الصليبيين وقطعت عليهم خط الـرجعـة إلى الـوراء ، وجـرى تطويق الجيش الصليبي الـذي أختلط فرسانه بمشاتـه ، وبعـد قتـال قصيـر الأمـد في أرض طينية سبخة ، ظفر المسلمون بأعـدائهم ، وحصـدوهم ومـزقوهم شر ممزق ، وشفوا صدورهم وصدور قوم مؤمنين . وحاول بعض الصليبيين عبثاً أن يختفوا داخل أعشاب السبخة فقتلهم المسلمون ، والبعض منهم فروا عن طريق تتبع مجرى النهر صعوداً إلى منبعه ، وآخرون فروا إلى الجبال ، على أن معظم الصليبيين إما قتلوا أو وقعوا في الأسر ، وغنم المسلمون كل ما كان يحمله العدو من خيول وأموال وأسلحة(٢) .

ومثلما حدث في الهزائم السابقة التي حلت بالصليبيين في آسيا الصغرى ، فقد نجح كبار القادة في الفرار بسبب خيولهم القوية . فقد فر ولف الرابع دوق بافاريا

(١) Albert of Aix: p. 580; Runciman: op. cit, vol. II, pp. 28-29; Gate: op. cit, p. 361.

(٢) Albert of Aix: pp. 580-581; Runciman: op. cit, vol. II, p. 29; Gate: op. cit, p. 361.

بعد أن قذف درعه وأسلحته وأنطلق على صهوة جواده عبر الجبال لا يلوى على شيء مع أثنين من أمرائه هما بيرنهارد Bernhard وهنري صاحبا ريجنسبورغ Re-gensburg والتمسوا طريقهم إلى الساحل حتى وصلوا أنطاكية . أما وليم التاسع دوق اكيتانيا فقد نجا مع تابعه الوحيد ووصل إلى ميناء مدينة طرسوس(١) المعروف باسم لونجنيدا Longiniada ، ونزلا ضيفين لدى أحد زعماء الأرمن ويدعى برنارد الغريب Bernard The Straneger ، حيث أرشدهما إلى أنطاكية . أما هيو فرمندوا شقيق ملك فرنسا فيليب الأول فقد أصابه المسلمون بسهم في ركبته فحمله بعض رجاله ونجحوا في الفرار به إلى طرسوس حيث مات متأثراً بجراحه في ١٨ أكتوبر ١١٠١م/ ذو الحجة ٤٩٤هـ ودفن في كنيسة القديس بولس . ولم يفلت من المشاة سوى أسقف أيفرجن Auvergne الذي أطلق ساقية للريح وجرى بخطى واسعة ونجا من الموت المحقق بمفرده . وقد أستقبل تانكرد الوصي على أنطاكية الهاربين بكرم وقدم لهم رعاية خاصة ولا سيما لدوق اكيتانيا بإعتباره أرفع الأمراء الصليبيين شأنا ولأنه فقد في تلك الحملة كل ممتلكاته(٢) .

أساطير صليبية :

وأسر المسلمون الكثير من نساء الصليبيين وعلى رأسهن كوربا زوجة جيوفرى بوريل Geoggrey Burel . أما ايدا دوقة النمسا فقد ذكر البرت الأخيني أنه ليس متاكداً ما إذا كانت أسرت أم قتلت(٣) . ويرجح أحد المؤرخين المحدثين أنها وقعت أرضاً أثناء الفزع الذي حل بالصليبيين ، بسبب هجوم المسلمين

---

(١) طرسوس مدينة بالثغور الشامية بين حلب وأنطاكية وآسيا الصغرى تشرف على المدخل الجنوبي للدرب المشهور عبر جبال طوروس وتبعد عن البحر المتوسط بنحو ١٢ ميلاً ، وكانت من أعظم الثغور الأمامية للمسلمين في مواجهة البيزنطيين وظلت على تلك الحالة أكثر من ثلاثة قرون حتى أستولى عليها الأمبراطور البيزنطي نقفور فوكاس سنة ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م وأستمرت كذلك حتى تغلب عليها الأرمن قبيل قيام الحملة الصليبية الأولى وظلت بأيدي الأرمن النصارى حتى قضى المسلمون على مملكة الأرمن في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري ، انظر : ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ورقة ١٦٦ب -١٦٧ أب ، ياقوت : معجم البلدان : مادة طرسوس ، أبو الفدا : تقويم البلدان ص٢٤٦-٢٤٧ ، لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ص١٦٤-١٦٥ .

(٢) Albert of Aix: pp. 581-582; William of Tyre: Vol. I, pp. 431-432; Gate: op. cit, p. 362; Runciman: op. cit, vol. II, p. 29.

(٣) Albert of Aix: p. 581; Gate: op. cit, p. 362.

المباغت ، وماتت تحت الأقدام(١) . على أن خيال الصليبيين جنح بهم كثيراً وحاكوا حولها قصة أصبحت من المواضيع المألوفة والبارزة في أدب الصليبيين ، ومفادها : أنها عاشت ضمن حريم أحد الأمراء المسلمين وأنجبت له بطلاً شهيراً هو الأمير عماد الدين زنكي العدو الكبير للنصارى(٢) . ولا ريب أن هذه القصة من نسج الخيال ، لأن عماد الدين زنكي كان يبلغ من العمر زمن وقوع معركة هرقلة سبعة عشر عاماً وكان والده اقسنقر الحاجب قد قتل قبل وقوع هذه المعركة بسبعة أعوام ، أي في سنة ٤٨٧هـ(٣) . كما وقع في أسر كمشتكين بن دانشمند الأسقف ثييمو رئيس أساقفة سالزبورغ ونسج الصليبيون حول أسره قصة أصبحت تتردد في التراث الأدبي للصليبيين وملخصها : أن ثييمو أصبح صانعاً للأدوات المعدنية ثم أمره الأمير المسلم بالعمل في ترميم وثن إسلامي - بزعمهم -!!! وفجأة بدأ الوثن ينطق بالكفر ، فغضب ثييمو وكسر الوثن وبسبب ذلك فقد تحمل ثييمو الآم الموت الذي أوقعة به الأمير المسلم فمات شهيداً في سبيل عقيدته(٤) . ويتضح من هذه القصة أنها من نسج الخيال لأنه لا يوجد في الإسلام أوثان مثلما يعتقد الصليبيون فقد حرم القرآن الكريم صناعة الأوثان وعبادتها تحريماً قاطعاً ، وصناعة الأوثان والتماثيل والصور توجد على نطاق واسع في الديانة النصرانية المحرفة التي يدين بها الصليبيون . حتى لو إفترضنا جدلاً أن لتلك الأسطورة أصل تاريخي فالراجح أن ثييمو أمر بترميم مئذنة مسجد ، وعندما سمع صوت الأذان على المئذنة قام بتخريبها فقتل جزاء ما فعلت يداه . على أن مثل هذه الأساطير تثبت أن الصليبيين يحاولون إضفاء روح البطولة والتقوى والتضحية على أنفسهم عندما يجعلون ايدا تنجب بطلاً حتى وهي في الأسر وأن ثييمو تحمل الآم الموت في سبيل عقيدته حسب زعمهم . كما تدل هذه الأساطير على جهل الصليبيين الفاضح بالإسلام . وحين يبتكرون مثل هذه القصص

---

(١) Runciman: op. cit, vol. II, p. 29.

(٢) Gate : op. cit, p. 362; Mayre: The Crusades, p. 70; Runciman: op. cit, Vol. II, p. 29.

(٣) انظر ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص١٥ .

(٤) Gate : op. cit, p. 362; Mayre: op. cit, p. 70.

الخيالية ويرددونها في أدبهم فإنهم يعملون على إيقاظ الهمم والرغبة لدى الأوربيين في الأشتراك في الحروب الصليبية ، وإبقاء جذوة التعصب الصليبي مشتعلة في نفوس النصارى ضد الإسلام والمسلمين .

وصول الفلول المهزومة إلى الشام :

وبالهزيمة الساحقة الأخيرة التي أنزلها المسلمون بالصليبيين عند هرقلة ذهبت جهود البابوية وأوربا في سبيل حشد تلك الحملات أدراج الرياح ، وتلاشت الأهمية العسكرية لحملات سنة ٤٩٤هـ/١١٠١م بالنسبة للعالم النصراني بأكمله . فلم ينج من تلك الجيوش الكبيرة إلا أعداد قليلة ، إستمرت في طريقها إلى بيت المقدس ، وتحولت الحملات الصليبية في واقع الأمر من حملات حربية إلى حجة لزيارة الأماكن المقدسة . وقد رأى المؤرخ الألماني ايكهارد بعض الباقين على قيد الحياة في جزيرة رودس ، وفي ميناء بافوس غربي قبرس ، وفي يافا وغيرها . أما الزعماء الذين لاذوا بالفرار فقد أخذوا يتوافدون إلى أنطاكية التي أضحت ملجأ لفلول المهزومين(١) . فخلال فصلي الخريف والشتاء من عام ١١٠١م لحق التائهون الذين فروا براً من الهزائم في شرقي الأنضول بالفارين من الجيش الأول الذين رجعوا إلى القسطنطينية . وقدموا من هناك بالسفينة إلى ميناء السويدية(٢) . وفي نهاية شهر فبراير تشكلت منهم عصابة صغيرة ضمت البرت كونت بياندرات ، وكونراد الكندسطبل الألماني ، وستيفن كونت بلوا ، ووليم التاسع دوق أكيتانيا ، وستيفن كونت برجنديا ، وولف الرابع دوق بافاريا ، بعد أن فقدوا جيوشهم قتلاً وأسراً في آسيا الصغرى ، بالإضافة إلى بعض الأساقفة وشرعوا يتجهزون للرحيل إلى بيت المقدس(٣) .

---

(١) Gate: op. cit, pp. 362-363; Louis and Jonathan: The Crusades Idea and Reality, p. 15.

(٢) السويدية : هي ميناء مدينة أنطاكية على ساحل البحر ، انظر : ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، الجزء الأول ، القسم الثاني ، ورقة ٢٤٩ب .

(٣) Albert of Aix: p. 582; Fulcher of Chartres, p. 433; Gate: op. cit, p. 363.

أما ريموند الصنجيلي أمير تولوز فلم يحظ بالترحيب الذي لقيه رفاقه ، فقد أرسى في ميناء لونجنيدا ميناء طرسوس ، فقبض عليه الزعيم الأرمني برنارد الغريب ، ومضى به في حراسة مشدده إلى أنطاكية وسلمه إلى تانكرد ، الوصي على أنطاكية ، الذي أتهمه بخيانة العالم النصراني وزعم أنه غرر برفاقه حتى أوقعهم بأيدي الأتراك المسلمين ، وألقى به في الحبس . ولكن السبب الحقيقي لتصرف تانكرد يكمن في العداء بين ريموند وبوهمند - خال تانكرد - بالإضافة إلى شعور تانكرد نفسه بمنافسة ريموند نظراً لما يلقاه من عون الأمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين . ولكن بطريرك أنطاكية برنارد والأمراء الصليبيين الآخرين غضبوا من تصرف تانكرد أزاء ريموند فضغطوا عليه مطالبين بإطلاق سراحه ، فإضطر تانكرد إلى إجابة طلبهم ، فأطلقه بعدما أجبره أن يحلف له يميناً على الأنجيل ألا يهاجم المناطق الممتدة بين أنطاكية وعكا(١) . وهي المناطق التي كانت لا تزال حينذاك بيد المسلمين ، مما يشير إلى طمع تانكرد وجشعة ، وطمع سائر الصليبيين في التوسع على حساب المسلمين ، وأن هدفهم لن يقتصر على المدن المقدسة لدى النصارى بل إلى بقية بلدان المسلمين الأخرى .

وزحف الصليبيون جنوباً في صحبة ريموند الذي مر باللاذقية فأخذ زوجته وبقية عساكره التي تركها هناك قبيل سفره إلى القسطنطينية . ثم ساروا نحو أنطوطوس(٢) ، وشرعوا في مهاجمتها ، وتلقوا المساعدة البحرية من الأسطول الجنوي الرأسي قبالة الساحل . وبعد حصار دام بضعة أيام أستولى الصليبيون على ميناء انطرطوس وذبحوا معظم سكانها المسلمين وباعوا الأخرين في أسواق الرقيق(٣) . والواضح أنه لم يكن لبقايا الحملات الصليبية دور بارز في إنتزاع أنطرطوس من المسلمين ، وأن الدور الحاسم في الأستيلاء عليها يعود لقوات

---

(١) Albert of Aix: pp. 582-583; Gate: op. cit, p. 363; Runciman: op. cit, vol. II, pp. 31, 34.

(٢) أنطوطوس : بلدة من سواحل الشام شمالي طرابلس ، وهي آخر البلاد التابعة لدمشق على الساحل وتبعد مسافة ثلاثين ميلاً عن طرابلس . انظر : ياقوت : معجم البلدان ، القزويني أثار البلاد ص١٥١ ، أبو الفدا : تقويم البلدان ص٢٥٣ .

(٣) William of Tyre : vol. I, p. 433; Fulcher of Chartres: pp. 433-435; Gate: op. cit, p. 363, Runciman: op. cit, vol. II, pp. 57-58.

ريموند التي أصطحبها من اللاذقية بالإضافة إلى الأسطول الجنوي ، ومما يبرهن على هذا الرأي أن ريموند إحتفظ بانطرطوس لنفسه ولم ينازعه أحد من أولئك الزعماء على إمتلاكها(١) . فإتخذ منها قاعدة ، ظل يعمل منها على الأستيلاء على طرابلس .

وكان ولف الرابع دوق بافاريا قد تجنب حصار أنطرطوس وذهب إلى بيت المقدس في صحبة ريجنالد البرجندي شقيق الكونت ستيفن أمير برجنديا . وقد هلك ريجنالد في الطريق ، فواصل ولف رحلته إلى بيت المقدس حيث أجرى صلواته وطقوسه عند القبر المقدس المزعوم ، ثم غادر بحراً متجهاً إلى بلاده ، ولكنه هلك في جزيرة قبرس ودفن في ميناء بافوس غربي قبرس(٢) .

وغادر بقية أعضاء العصابة الصليبية أنطرطوس ، وأجتازوا الطريق الساحلي قرب طرابلس وجبيل . وقد أستقبلهم عند بيروت بلدوين الأول ملك بيت المقدس الصليبي الذي أنتظرهم هناك لمدة ثمانية عشر يوماً ، كي يرافقهم خلال العبور الخطر عند نهر الكلب حيث لا تزال تلك المنطقة تابعة لسلاجقة دمشق . ويعلق أحد الباحثين المحدثين على أنهم بلغوا درجة متدنية من الضعف (حتى أنهم بدلاً من جلب المساعدة لبلدوين أصبحوا الآن عالة على جيشه الصغير)(٣) . وبعد أن التقى أفراد العصابة بقوات بلدوين ، ذهب الجميع إلى ميناء يافا ، ليجدوا بعض الصليبيين قد وصلوا إليه تواً بالسفينة ، وذلك في ٢٣ مارس ١١٠٢م/ ٤٩٥هـ . ومكثوا في يافا أسبوعاً حيث أحتفلوا في ٣٠ مارس بالعيد النصراني المسمى أحد السعف(٤) . وفي اليوم التالي ساروا إلى بيت المقدس حيث قضوا ما يسمى بأسبوع الآلام الذي يسبق عيد الفصح في إجراء

---

(١) William of Tyre: vol. I, p. 433; Albert of Aix: p. 582; Gate: op. cit, p. 363; Runciman: op. cit, vol. II, p. 58.

(٢) Albert of Aix: p. 583, Gate: op. cit, pp. 363-364.

(٣) Gate: op. cit, p. 364.

(٤) أحد السعف : هو يوم الأحد الذي يسبق عيد الفصح عند النصارى ، وفيه يحتفلون بذكرى دخول عيس عليه السلام ظافراً إلى بيت المقدس حيث نثر في طريقه سعف النخل . انظر : منير البعلبكي : المورد ، مادة : Palm Sunday

طقوسهم وفق عقيدتهم النصرانية وأنضم إليهم إثنان من رفاقهم المتأخرين هما : كونراد الكندسطبل الألماني ، والأسقف انجيلراند Ingelrand ، أسقف لون Laon وفي عيد الفصح أتحد الجميع في الأحتفال بالبعث المزعوم للمسيح عليه السلام(١) . وقدّم الصليبيون الشكر لبلدوين على حمايتهم حتى وصولهم إلى بيت المقدس ، وحثوه على أن يتفاوض مع الأمبراطور البيزنطي للحصول على معاملة أفضل من جانبه لمن قد يأتي من الصليبيين إلى الشرق عبر بلاده(٢) .

شعر أولئك الصليبيون أنهم وفوا بقسمهم الصليبي ، والبعض منهم رأوا أن الواجب عليهم أن يمكثوا هنا . وبعد عيد الفصح بدأت العصابة تتفرق أفراداً فساروا في طرق مختلفة عائدين إلى بلادهم . ومن الذين سافروا عن طريق ميناء يافا : وليم التاسع دوق اكيتانيا حيث وصل إلى بلاده في أكتوبر ١١٠٢م الموافق أوائل سنة ٤٩٦هـ . ولم يتمكن بعض الصليبيين العائدين من الأبحار بسبب هبوب الريح المعاكسة ، فأنضموا لبلدوين ، ملك بيت المقدس ، الذي قادهم ضمن فرسانه لمواجهة الحملة المصرية التي زحفت من عسقلان بأتجاه الرملة ، وقد أستخف بلدوين بالجيش المصري الكبير(٣) ، فلم يطلب قواته الأخرى في يافا ، وقرر أن يهاجم الجيش المصري بقوة صغيرة من الفرسان الذين معه ، وكان ضمنهم بقية قادة الحملات البائدة وهم : ستيفن كونت بلوا ، وستيفن كونت برجنديا ، وهيولوزجنان ، وجيوفري صاحب فندوم ، والكندسطبل كونراد وغيرهم . وحذر ستيفن بلوا من الأشتباك مع الجيش المصري الكبير ، ولكن رفاقه سخروا من نصيحته بوصفه جباناً فر من عند أنطاكية زمن الحملة الصليبية

---

(١) فيما يتصل بنهاية المسيح عليه السلام فلا نقر ما ذهب إليه النصارى حوله ، فالحق ما جاء به القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وقولهم إنّا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين أختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً ﴾ النساء آية١٥٧ . وقوله تعالى : ﴿ إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا . . الآية ﴾ آل عمران آية ٥٥ .

(٢) Albert of Aix: pp. 583-584; William of Tyer: vol. I, pp. 442-443; Gate: op. cit, p. 364.

(٣) يعود أستخفاف بلدوين بالجيش المصري الذي أرسله الوزير الفاطمي الأفضل بن بدر الجمالي إلى أن بلدوين نفسه قد أستطاع أن يهزم في السنة السابقة حملة كبيرة أرسلها الوزير الأفضل ، انظر ابن الأثير : الكامل ١٠/٣٦٤ ، سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ص ٣٠٠-٣٠٢ .

الأولى . وأنقض بلدوين على الجيش المصري المتفوق في العدد في ١٧ مايو ١١٠٢م/ ٤٩٥هـ فأنهزم الصليبيون وهرب بعضهم إلى يافا ، وفر بلدوين وقادة الحملات البائدة إلى الرملة ، ومنها فر بلدوين بمفرده ليلاً ، فجاء الجيش المصري وحاصر برج الرملة ، وأضرم النار في البرج مما أضطر القادة المحاصرين للخروج من البرج وأشتبكوا في قتال يائس حتى قتلوا ، ومنهم هيولوزجنان ، ومايلز صاحب براي ، وجيوفرى صاحب فندوم ، وستيفن بلوا الذي أدى مقتله في نظر زوجته ونظر الصليبيين إلى محو العار الذي لحقه بسبب فراره زمن الحملة الصليبية الأولى(١) . أما الكندسطبل كونراد ، واودو صاحب أُربين فقد وقعا في الأسر وحملا إلى القاهرة وظلا بها ثلاث سنوات حتى أُطلق سراحهما بشفاعة الأمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين فعاد كونراد إلى بلاده ليخدم مرة أخرى سيده هنرى الرابع أمبراطور ألمانيا ، في حين أعتزل أودو الحياة العامة وترهب في دير كلوني بفرنسا . ومن الذين عادوا إلى بلادهم وليم كونت نيفر ، وهيو باردولف وعدد آخر من الأساقفة مثل أسقف لايونز وأسقف سواسون ولون ولم يمكث بالشرق من قادة لحملات البائدة سوى شخص واحد هو جوسلين دى كورتناى Joscelin of Courteny الذي صار فيما بعد كونت الرها(٢) .

أسباب هزائم الصليبيين كما يراها الغربيون :

يورد وليم الصورى تفسيرات عديدة للهزائم الساحقة التي حلت بالحملات الصليبية سنة ٤٩٤هـ/١١٠١م على يد كمشتكين بن دانشمند ، فبعد أن أشار إلى مسير الحملات ، ذكر أنها سارت على خطى الحملة الصليبية الأولى ، ولكنها أفتقرت ـ حسب رأيه ـ إلى روح التقوى التي ميزت الحملة الأولى ، ثم أتهم الأمبراطور البيزنطي أنه أحاط الأتراك علماً بمسير الصليبيين مما أتاح الفرصة

---

(١) William of Tyre: vol. I, pp. 445-447; Albert of Aix: pp. 591-594; Ordericus Vitalis: pp. 132-136; Gate: op. cit, pp. 364-365; Runciman: op. cit, vol. II, pp. 76-78.

(٢) Albert of Aix: p. 595; Ordericus Vitalis: pp. 137-139; Gate: op. cit, p. 365.

للمسلمين للإجتماع وأعتراض طريق الصليبيين ، بالإضافة إلى أن هذه الحملات الصليبية إنفصلت عن بعضهـا البعض ، فسـار الصليبيون في طرق مختلفـة (وكـأنهم رمل بدون جير) على حد قوله . كما ذكر أنهم ساروا بدون رابطة من الشعور تجمعهم إلى بعضهم البعض ، وأنهم أفتقدوا الأنضباط العسكري الذي تقيدت به الحملة الأولى . ولـذلـك فإن وليم الصـورى يقـرر أنهم أستحقـوا العقاب ، فنهض ضدهم خصم جبار وحصد منهم في معركة واحدة (أكثر من خمسين ألف من مختلف الأجناس بحد السيف)(١) .

أما المؤرخ المعاصر الأستاذ جيت Gate فيفند كل أتهامات المؤرخين الصليبيين القـدمـاء للأمـبراطـور الكسيوس بخيانـة الصليبيين ويشـير إلى أن مصـالـح الأمـبراطـورية الـواضحـة تدحض تلك التهم ، كما أن مفاوضات الأمبراطور الكسيوس مع أمـراء الحمـلات الصليبية ، والأيمان التي حصل عليها منهم ، والنفقات المهمة التي صرفها عليهم ، تظهر بجلاء أنه توقع أن يفيد بقتالهم مثلما أفـاد من أنتصارات الصليبيين الأول . كما أن الكسيوس لم يكن الرجل الذي يحطم جهد حلفائه بسبب شغبهم وأذاهم ، وطبعاً لم يكن الرجل الذي يرسلهم بعيداً ليحـرروا عدوه الـرئيسي بوهمنـد . ثم يورد الأستاذ جيت تفسيره لهزائم الصليبيين فيقـول ما ترجمته (إن فشل الحملة الصليبية يمكن أن يكون مفسراً بدون جعـل الـكسيوس خائنـاً ، فالصليبيون ، أعتـزمـوا أن يتقـابلوا في القسـطنطينية ، لكن الجيوش المختلفة أخطأت الموعد بسبب أن الوقت ضيق جداً ، وهـذا كان نتيجـة سلوكهم ، وإلى حد ما بمسألة المصادفة ، وبالتناثر أنهزمـوا أمام الحلف المؤقت للأمراء المسلمين ، وصار لزاماً عليهم أن يقاتلوا بأستمـرار قوة كبيرة خلال طريقهم إلى سوريا ، وأصبحوا غير قادرين إلى هذا المدى ، فقيادتهم كانت هزيلة ، ومعلوماتهم عن بلاد العدو وتكتيكاتهم الحربية سطحية ، وبالنسبة لأي جيش يزحف بعيداً خلال طريق وعرة ، وفي منطقة غير مألوفة ، فإن الدفاع بكفاءة يغدو مهمة شاقة ، لأن ذلك يتطلب تنظيماً جيداً ،

---

(١) William of Tyre: vol. I, pp. 431-432.

ونظاماً سوقياً دقيقاً وشيئاً من حسن الطالع . فلم يكن لدي الصليبيين سنة ١١٠١م تنظيم ولا نظام ولا توفيق)(١) .

ومهما تكن الأسباب التي أوردها المؤرخون الغربيون قديماً وحديثاً لتبرير تلك الهزائم الساحقة التي حلت بالحملات الصليبية في سنة ٤٩٤هـ/١١٠١م فإن تلك التبريرات لا يمكن أن تحجب بطولات كمشتكين بن دانشمند ، وقيادته العسكرية الفذة وبراعة الخطط الحربية التي طبقها للقضاء على تلك الحملات .

نتائج إنتصارات كمشتكين على الصليبيين

ترتب على إنتصارات كمشتكين بن دانشمند نتائج ضخمة . وقد أعترف بتلك الحقيقة كبير مؤرخي الحروب الصليبية من الغربيين في العصر الحاضر ، وهو الأستاذ ستيفن رونسيمان Steven Runciman (٢) فقال : (وصلت كل واحدة من الحملات الصليبية لسنة ١١٠١م إلى نهاية مشؤومة ، وأثرت كوارثها في تاريخ الحركة الصليبية برمته . فقد أنتقم الأتراك لهزيمتهم عند دوريليوم ، ولن يحدث بعد ذلك إخراجهم من الأناضول ، وظل الطريق عبر شبه الجزيرة خطراً بالنسبة للجيوش النصرانية ، سواء الفرنجية أو البيزنطية . ولما رغب البيزنطيون بعد ذلك أن يتدخلوا في شئون سوريا تحتم عليهم أن يقوموا بسلسلة من العمليات على أطراف خطوط مواصلاتهم الطويلة ، والمعرضة للهجوم الفعلي . بينما كان المهاجرون من الغرب يخافون أن يرحلوا براً عبر القسطنطينية إلا في جيوش ضخمة ، وكان في مقدورهم أن يأتوا عن طريق البحر ، غير أن القليل منهم

---

(١) Gate : op. cit, pp. 366-367.

(٢) يعتبر المؤرخ الأنجليزي ستيفن رونسيمان أكبر المؤرخين الغربيين المتخصصين في تاريخ الحروب الصليبية فقد صب جل جهوده على دراسة الحروب الصليبية دراسة مستفيضة وأخرج فيها موسوعة كبيرة في ثلاث مجلدات بعنوان تاريخ الحروب الصليبية (A History of the Crusades) وله أيضاً الكثير من الأبحاث والدراسات حول الحروب الصليبية وحول العلاقات بين الشرق والغرب . وعندما نهض الأمريكيون في جامعتي بنسلفانيا ووسكنسون بالعمل في تأليف موسوعة ضخمة في ست مجلدات عهدوا بالعمل فيها للأساتذه المتخصصين وأسندوا للسيد رونسيمان كتابة عدد من الفصول المهمة في تلك الموسوعة مما يدل على مكانته وطول باعه وعمق درايته بتاريخ الحروب الصليبية .

أستطاع أن يتحمل أجرة السفر . وبدلاً من ألوف المستعمرين النافعين الذين كان يجب أن يأتوا إلى سوريا وفلسطين في تلك السنة ، لم يصل إلا عدد ضئيل من القادة المشاكسين الذين فقدوا جيوشهم وشهرتهم في الطريق . فنفذوا إلى حدود الأمارات الفرنجية التي كان فيها ما يكفيها من القادة المتنازعين)(١) .

وإذا كان إنتصار المسلمين بقيادة كمشتكين بن دانشمند على تلك الحملات الثلاث يشكل كارثة كبرى ونهاية مشؤومة لتلك الحملات من وجهة نظر الأستاذ رونسيمان والعالم الغربي النصراني ، فإننا نعتبر إنتصارات كمشتكين بن دانشمند فوزاً عظيماً ونصراً مبيناً وعقاباً ربانياً عادلاً للمعتدين ، وصفحة من أنصع صفحات الجهاد ضد العدوان الصليبي الغشوم ، بحيث أثرت تلك الأنتصارات فعلاً في تاريخ الحروب الصليبية بأكمله كما يعترف بذلك رونسيمان .

ومن الطريف أن إنتصار كمشتكين بن دانشمند على تلك الحملات الثلاث كان الثمرة الكبيرة والنتيجة الضخمة لهزيمة بوهمند ووقوعه في الأسر وإعتقاله بقلعة نكسار في أعالي الأناضول ، إذ أن هذه الحادثة جعلت رجال الحملة الأولى من اللمبارديين يرفضون نصيحة الأمبراطور البيزنطي بإتخاذ الطريق الساحلي بعيداً عن الأتراك المسلمين وأصروا على الذهاب إلى بلاد كمشتكين بن دانشمند لإطلاق سراح بوهمند وفتح بلاد الأناضول ، وسارت الحملتان التاليتان في أثرهم مما أدى إلى هزيمتهم جميعاً . وتمخض عن إنتصار كمشتكين بن دانشمند على تلك الحملات نتائج ضخمة وبعيدة المدى يمكن إجمالها في النقاط التالية :

أولاً : بددت تلك الإنتصارات خطراً داهماً كان يمكن أن يهدد الوجود الإسلامي تهديداً جدياً . وتبرز أهمية هذه الإنتصارات التي أحرزها كمشتكين بن دانشمند فيما لو تصورنا أن تلك الحملات الثلاث نجحت فعلاً في إنتزاع آسيا الصغرى من الأتراك المسلمين وطردتهم منها ، الأمر الذي سيجعل الأمارات الصليبية في

---

(١) Runciman: op. cit, vol. II, pp. 29-30.

بلاد الشام متصلة إتصالاً مباشراً ـ عن طريق البر ـ بالعالم النصراني بحيث تصبح الأمارات الصليبية رأس جسر متصل بذلك العالم مما يعزز الجبهة النصرانية ضد العالم الإسلامي كما سيترتب على نجاح تلك الحملات إزدياد الحماسة في أوربا وقيام حملات جديدة وفي هذا تهديد للوجود الإسلامي برمته .

ثانياً : ترتب على أنتصار المسلمين على هذه الحملات خمود الحماسة للحروب الصليبية في أوربا لسنوات طويلة ، حتى أن الغرب الأوربي لم يكن على أستعداد لأن يبعث جيشاً كبيراً آخراً خوفاً أن يلقى المصير نفسه الذي لقيته تلك الحملات(١) . وقد أمتد تأثير هذا الخوف قرابة نصف قرن من الزمان بدليل أن وليم الثاني كونت نيفر الذي أمتد به العمر إلى زمن الحملة الصليبية الثانية ٥٤٢هـ/١١٤٧م ، رفض الأشتراك فيها بعد الدرس المرير الذي تلقاه إبان شبابه(٢) .

ثالثاً : أبقت أنتصارات ابن دانشمند على النقص الكبير في القوة البشرية لدى الزعماء الصليبيين في بلاد الشام ـ وهذه نتيجة ممتازة بالغة القيمة للمسلمين ـ ، فلم يصل من تلك الجموع الضخمة إلى بلاد الشام سوى أعداد ضئيلة جداً ليس في مقدورها تقديم المساعدة الفعالة للصليبيين وسد النقص الخطير في القوة البشرية لديهم . وتظهر روعة الأنتصار الذي أحرزه ابن دانشمند إذا ما علمنا أن السواد الأعظم من تلك الحملات يتكون من الطبقة الدنيا الفقيرة المعدمة ، والذين لو قدر لهم الوصول إلى بلاد الشام لأصبحوا مستوطنين للبلاد المغتصبة ، لأنه ليس لديهم في بلادهم الأصلية في أوربا ما يحفزهم على العودة ، الأمر الذي سيوفر للزعماء الصليبيين القوات اللازمة للتوسع على حساب المسلمين أكثر فأكثر ، وأحتلال بلاد الشام بكاملها ، لأن المسلمين في بلاد الشام كانوا حينذاك في حالة شديدة من الضعف والتفكك وليس في وسعهم التصدي

---

(١) Mayer: The Crusades, p. 70.

(٢) Gate: op. cit, p. 365.

لخطر صليبي جديد . كما أن الدولة العبيدية الفاطمية في مصر كانت تعاني في ذلك الحين آلام الموت التدريجي البطيء بسبب إنقسام المذهب الأسماعيلي الباطني بين النزارية والمستعلية ، ولم يكن ينقص بلدوين الأول ملك بيت المقدس الصليبي سوى القوات اللازمة لأحتلال مصر ، ولو قدر لتلك الحملات الوصول بسلام لأصبح لدى بلدوين من القوة ما يجعله يقدم على الأستيلاء على مصر ، وتهديد الأماكن المقدسة في الحجاز(١) .

رابعاً : بعد فشل الحملات الصليبية الثلاث سنة ٤٩٤هـ/١١٠١م في تحقيق الهدف البيزنطي المتمثل في إسترداد آسيا الصغرى من الأتراك المسلمين وطردهم منها ، اقتنعت الدولة البيزنطية بعدم جدوى الأستعانة بالصليبيين ، مما جعل الأباطرة البيزنطيين من أسرة آل كومنين يحاولون تحقيق ذلك الهدف ، بجهودهم الذاتية لأكثر من سبعين عاماً حتى إنتهى الأمر بتدمير قوات الأمبراطورية البيزنطية في معركة ميريوكيفالوم سنة ٥٧٢هـ/١١٧٦م وتخلت عن السّعْي لتحقيق ذلك الهدف نتيجة تلك المعركة(٢) .

خامسا : ترتب على إنتصارات كمشتكين بن دانشمند رفع الروح المعنوية لدى أتراك الأناضول المسلمين ، فعلى الرغم من أن الصليبيين أعترفوا ببسالة الأتراك المسلمين زمن الحملة الصليبية الأولى(٣) ، فإن إنتصار الحملة الأولى جرح كبرياء الأتراك وكان له أثراً عميقاً في نفوسهم ، فأسترد الأتراك بهذه

---

(١) هذا القول لا نلقيه جزافاً فقد ظل هدف الأستيلاء على مصر يراود بلدوين بعد إنتصاره على الحملات الفاطمية ، فقاد في سنة ٥١١هـ/١١١٨م فرقة مكونة من مئتين وستة عشر فارساً وأربعمائة من المشاة فقط بهدف الأستيلاء على مصر وبلغ مدينة تنيس وسبح في النيل فأنتقض عليه جرح كان به ، فلما شعر بالموت عاد بفرقته إلى بيت المقدس حيث مات . انظر ابن الأثير : الكامل ١٠/٥٤٣ ، .Albert of Aix: p. 705 .

(٢) عن جهود آل كومنين لطرد الأتراك المسلمين من آسيا الصغرى ومعركة ميريوكيفالوم ونتائجها ، انظر بحثنا الموسوم بـ«معركة ميريوكيفالوم من المعارك الحاسمة في التاريخ الإسلامي» مجلة جامعة أم القرى للبحوث العلمية ، العدد الأول ، السنة الأولى ، مكة المكرمة ١٤٠٩هـ ، ص١٢١-١٥٠ .

(٣) انظر : أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ترجمة حسن حبشي ص٤١-٤٢ .
The Cambridge History of Islam, vol. I, A, pp. 238-239.

الأنتصارات هيبتهم وسمعتهم الحربية ، وشرعوا في القيام بفتوحات جديدة ، فأتجة كمشتكين بن دانشمند بقواته لفتح المناطق الواقعة في أعالي الفرات ، فهاجم الأرمن حلفاء الصليبيين في هذه المناطق - وقلم أظفارهم وفتح الكثير من البلاد الخاضعة لهم ، وتوغل في فتوحاته حتى بلغ مشارف أمارة الرها الصليبية . ثم تقدم للأستيلاء على ملطية ، والتي تطلع للأستيلاء عليها منذ وقت مبكر ، وكان حصاره لها - كما رأينا - سبباً لأسر بوهمند أمير أنطاكية ، وكان جبريل الأرمني صاحب ملطية يعول كثيراً على مساعدة الصليبيين ومحالفتهم لكي يظل حاكماً على ملطية لأنه لم يكن يركن إلى قومه الأرمن ، فقد كان يخالفهم في العقيدة حيث يدين بالنصرانية على المذهب الارثوذكسي اليوناني ، بينما كان السريان يكنون له حقداً دفيناً لأنه قتل أحد أساقفتهم بعد أن وجه إليه تهمة الخيانة . وبعد أن رحل بلدوين البولوني إلى بيت المقدس ليتولى عرشها ، وطد جبريل علاقته بأمير الرها الجديد بلدوين دى بورج Baldwin du Bourg وتحالف معه ، وتوجت هذه العلاقة بزواج بلدوين دى بورج من مورفيا Morfia ابنة جبريل . وضمن جبريل لنفسه حليفاً قوياً يمكن أن يركن إلى مساعدته وقت الشدائد ، إلا أن ذلك الحلف لم يفت في عضد كمشتكين بن دانشمند بعد الأنتصارات التي حققها ، فجاء بجيشه وهاجم ملطية فأستنجد جبريل بصهره بلدوين دى بورج ، إلا أن الأخير لم ينهض لنجدته ، ويبدو أنه لم يجرؤ على المجازفة بمواجهة كمشتكين خوفاً أن تحل به الهزيمة أو الوقوع في الأسر ، ولا سيما بعد أن أصبحت سمعة كمشتكين كفيلة بإثارة الرعب في نفوس سائر الأمراء الصليبيين بسبب ما أحرزه عليهم من إنتصارات ضخمة ، كما أن كمشتكين أفصح عن أمله في أن يبادر بلدوين إلى القدوم لنجدة ملطية حتى يوقع به ويأخذه أسيراً ليضعه جنباً إلى جنب مع بوهمند في حبسه ، إلا أن ذلك الأمل لم يتحقق بسبب أعتصام بلدوين دى بورج بالرها وعدم خروجه . فسقطت ملطية في يد كمشتكين بن دانشمند في ذى الحجة ٤٩٥هـ/ سبتمبر ١١٠٢م ووقع جبريل الأرمني في الأسر ، ولما رفضت حامية القلعة داخل المدينة الأستسلام أحضر كمشتكين أسيره جبريل أمام أسوار القلعة وهدد حاميتها بقتل جبريل إذا رفضت الأستسلام فرفض رجال الحامية

التسليم ، فأمر كمشتكين بقتل جبريل ثم أقتحم القلعة عنوة وأكمل سيطرته على سائر أرجاء المدينة(١) .

سادساً : أصبحت الخطط التي طبقها كمشتكين بن دانشمند ، والمتمثلة في المباغتة وأستدراج قوات العدو الصليبي وإنهاكها بالكمائن ثم تطويقها والقضاء عليها ، أفضل الخطط الناجعة التي فضلها كثير من القادة المسلمين فيما بعد ، فطبقوها في معاركهم وحققوا بها أفضل النتائج في جهاد الصليبيين .

سابعاً : حطمت إنتصارات كمشتكين بن دانشمند الأعتقاد الراسخ الذي سيطر على عقول وقلوب الصليبيين في أعقاب نجاحات الحملة الصليبية الأولى ، والذي مفاده : أن الحرب الصليبية سوف تنجح دائماً بسبب ما تلقاه من مساعدة فعالة من السيد المسيح - بزعمهم - فأكتشفوا بعد تلك الهزائم التي حلت بهم أن ذلك الأعتقاد لم يكن إلا إعتقاداً زائفاً الأمر الذي جعل الكثير من القسس ورجال الدين النصارى يبررون ذلك الفشل بتبريرات مختلفة(٢) .

ثامناً : نتج عن إنتصارات كمشتكين بن دانشمند قفل الطريق البرى من أوربا إلى بلاد الشام عبر آسيا الصغرى أمام الصليبيين والبيزنطيين ولم يعد في وسعها الأتصال بالأمارات الصليبية في بلاد الشام إلا عن طريق البحر(٣) .

تاسعاً : تمخضت إنتصارات كمشتكين بن دانشمند عن رفع الروح المعنوية لدى المسلمين في أقليم الجزيرة ، بعد أن يئس المسلمون في أعقاب الحملة الصليبية الأولى من النصر ، فكانت تلك الأنتصارات بمثابة الجذوة التي أيقظت المسلمين وقتلت الخوف في أعماق نفوسهم ، ودفعتهم للمضي قدماً لإقامة فريضة

---

(١) Albert of Aix : p. 525, 610-612; Michael The Syrian, pp. 185-191; William of Tyre: vol. I, p. 450; Runciman: op. cit. vol. II, pp. 25,30,38–39; Cahen: La Syrie du Nord, p. 232.

(٢) Louise and Jonathan: the Crisades Idea and Reality, pp. 14-15.

(٣) Runciman: p. cit, vol. II, pp. 25, 30.

الجهاد ضد العدوان الصليبي ، إذ أدرك المسلمون في أقليم الجزيرة ـ بعد إنتصارات ابن دانشمند ـ أنه يمكن التصدي للصليبيين وتحقيق النصر عليهم ، فتحالف جكرمش أمير الموصل مع سكمان بن أرتق صاحب ماردين وأنزلا بالصليبيين هزيمة ساحقة في معركة حران سنة ٤٩٧هـ/١١٠٤م(١) . ويعتبر رنسيمان معركة حران مكملة للحملات الصليبية سنة ١١٠١م لأنها جميعاً حطمت أسطورة الصليبيين الذين لا يقهرون ، إذ أن إنزال الهزائم بالحملات الصليبية سنة ١١٠١م معناه أن شمال الشام أصبح محروماً من كل ما يحتاج إليه من إمدادات بشرية من الغرب الأوربي ، وقررت معركة حران في النهاية مصير إمارة الرها ، وأن حلب لن تقع في أيدي الصليبيين ، فالأسفين الذي حرص الصليبيون على الأبقاء عليه بين المسلمين في آسيا الصغرى والعراق وبلاد الشام لم يكن دقه محكماً(٢) ، فحالت معركة حران دون تحقيق الهدف الصليبي الرامي إلى فصل المسلمين عن بعضهم البعض في تلك البلدان الثلاثة .

عاشراً : أسفرت إنتصارات كمشتكين بن دانشمند عن أحداث صدع عميق في الجبهة النصرانية إزاء المسلمين ، فقد أتهم الصليبيون ـ كما رأينا ـ الأمبراطور البيزنطي بالخيانة والمسئولية عن الكوارث التي حلت بهم على يد ابن دانشمند مما أدى إلى كراهية الصليبيين للدولة البيزنطية كراهية شديدة . وكان وقع التهم شديداً على نفس الأمبراطور الكسيوس كومنين حتى أنه حينما أستقبل السفارة التي بعث بها بلدوين الأول ، ملك بيت المقدس أقسم لتبرئة نفسه من جميع التهم التي ألصقها الصليبيون به ، ووعد أن يتصرف بلطف أزاء الصليبيين القادمين . وكان من بين سفراء بلدوين الأسقف الأيطالي مناسيس Mansses أسقف بارزينونا Barzenona وهو أحد الناجين الذين بقوا على قيد الحياة من معركة مرسيفان ، وقد كلف الكسيوس الأسقف مناسيس بتبرئته أمام البابا باسكال

---

(١) عن تفاصيل معركة حران ، انظر : ابن الأثير : الكامل ١٠/٣٧٣ـ٣٧٥؛ ابن القلانسي ص١٤٣؛ مسفر الغامدي : الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي ص١٤١ـ١٤٢.
William of Tyre: vol. I, pp. 456-458; Runciman: op. cit, vol. II, pp. 41-43.
(٢) Runciman: op. cit, vol. II, p. 44.

الثاني . ولكن مناسيس ـ فيما يبدو ـ تأثر بالمشاعر المعادية للأمبراطور في أوساط الصليبيين كما ظن أنه تعرض للإهانة والمذلة في القسطنطينية فثارت حفيظته وعند عودتـه إلى أوربـا أشـترك في مجمع بنيفينتو Benovento الذي عقد برئاسة البابا باسكـال الثـاني في أواخـر سنة ١١٠٢م وأتهم الأمبراطور بدلاً من الدفاع عنه وإنتشرت تلك التهم في سائر أنحاء فرنسا(١) .

وقد أستخدم كمشتكين بن دانشمند مسألة إطلاق سراح بوهمند لزيادة حدة الأنقسام والتصدع داخل الجبهة النصرانية حتى أصبح من الصعب جداً على النصارى رتق ذلك الصدع ، فقد تقدم الأمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين إلى كمشتكين يطلب تسليمه بوهمند وعرض فدية مقدارها ٢٦٠ ألف بيزنت(٢) . وكان هدف الأمبراطور من الحصول على بوهمند هو أن يجبره على تسليم أنطاكية للدولـة البيزنـطية نظراً لأن الأمـبراطـور كان يعتـبر بوهمنـد مغتصبـاً لحقـوق الأمبراطورية في أنطاكية ، إضافة إلى أن تانكرد أستطاع خلال أسر خاله بوهمند أن ينتـزع من الـدولـة البيزنطية أهم المدن الخاضعة لها في أقليم قيليقية وهي طرسـوس وأذنـه والمصيصة(٣) . وليس في وسع الأمبراطور إستعادة تلك المدن وفرض سيادته على أنطاكية إلا بوقوع بوهمند أمير أنطاكية في قبضته حيث يستطيع إجبـاره على تلبية كل شروطـه . غير أن كمشتكين بن دانشمند رفض عرض الأمبراطور البيزنطي وقبِل العرض الذي تقدم به بوهمند ورفاقة الصليبيون بدفع مائـة ألف بيزنت مقـابل إطلاق سراحه وأن يطلق سراح ابنة ياغي سيان أمير أنطاكية السابق ، والتي كانت في أسره بالإضافة إلى تحالف بوهمند مع كمشتكين ضد الأمبراطور البيزنطي(٤) .

وهنا يتبادر إلى الذهن تساؤل هو : لماذا رفض كمشتكين عرض الأمبراطور البيزنطي دفع مبلغ ٢٦٠ ألف دينار بيزنطي مقابل تسليمه بوهمند وقبل العرض

---

(١) Albert of Aix: p. 582, 584-485; Gate: op. cit, p. 366.

(٢) Albert of Aix: pp. 610-612; Ordericus Vitalis: op. cit, p. 144.

(٣) Albert of Aix: p. 582, Runciman: op. cit, vol. II, p. 33.

(٤) ابن الأثير ، الكامل ١٠/ ٣٤٥ ، .Albert of Aix: pp. 610-612; Runciman: op. cit, vol. II, p. 38

الصليبي - الأقل - دفع مائة ألف مقابل إطلاق سراحه ؟ وقبل الإجابة على هذا السؤال يجب أن نشير إلى أن بعض المراجع الصليبية حاولت الأجابة فزعمت أن قلج أرسلان طالب كمشتكين بأن يعطيه نصف الفدية التي عرضها الأمبراطور البيزنطي ، الأمر الذي أدى إلى وقوع النزاع بين قلج أرسلان وكمشتكين ، فأطلق الأخير سراح بوهمند مقابل مائة ألف ضمن شروط تشمل تحالف بوهمند مع كمشتكين ضد قلج أرسلان وضد الأمبراطور البيزنطي على حد سواء(١) . ولا يمكن التسليم بهذا التفسير لرفض كمشتكين عرض الأمبراطور وقبول عرض بوهمند . فحتى لو إفترضنا أن قلج أرسلان طلب فعلاً نصف الفدية فإن قبول كمشتكين بالنصف يجعل نصيبه ١٣٠ ألف دينار وهو رقم يزيد عن العرض الذي تقدم به بوهمند مع العلم أن في وسع الأمبراطور الدفع نقداً بينما أحتاج الأمر من الصليبيين وقتاً طويلاً حتى جمعوا الفدية . ومما يفند ذلك التفسير أيضاً ما ذكره صاحب صحائف الأخبار من أن كمشتكين بن دانشمند كان أقوى من قلج أرسلان (وأكثر جمعاً وأعظم شأناً منه في تلك الأيام)(٢) . وفي إمكانه رفض مطالب قلج أرسلان إذا ما أراد .

والحق أن كمشتكين بن دانشمند كان ذا سياسة بعيدة الغور لأن تسليم الأمير بوهمند للأمبراطور البيزنطي قد يؤدى بالأمبراطورية إلى إنتزاع أنطاكية وقيلقية مما يجعل الأمبراطورية البيزنطية تطوق ممتلكات بني دانشمند وقلج أرسلان في آسيا الصغرى من الغرب والجنوب الأمر الذي يخدم الهدف البيزنطي العتيد ، والمتمثل في طرد الأتراك المسلمين من كل آسيا الصغرى . والراجح أن كمشتكين سرب أنباء المفاوضات بينه وبين الكسيوس عن طريق بعض نساء الصليبيين اللائي وقعن في أسره وصوَّر لبوهمند في أسره وكأن الأمبراطور البيزنطي غرر بالحملات الصليبية حتى حلت بها الهزيمة . ولقد نجح كمشتكين في هدفه الرامي إلى تمزيق الجبهة النصرانية فما أن عاد بوهمند من أسره حتى أضحى مقتنعاً أن

---

(١) Albert of Aix: pp. 611-612; Ordericus Vitalis: op. cit, vol. IV, p. 144; Fink: The Foundation of the Latin States, p. 388.

(٢) أحمد بن لطف الله المولوى : صحائف الأخبار ، ورقة ٥٩٥ب .

الأمـبراطور البيزنطي هو العدو اللدود للصليبيين . فقد أستخلف بعد معركة حران ـ ابن أخته تانكرد على أنطاكية وعاد إلى أوربا وقابل البابا باسكال الثاني وأقنعه بأن الأمبراطور البيزنطي هو العدو الحقيقي للصليبيين فأرسل معه البابا مندوباً إلى فرنسا للدعوه إلى شن حرب صليبية جديدة ليس ضد المسلمين هذه المرة ولكن ضد الدولة البيزنطية . ثم وصل بوهمند إلى فرنسا وقابل ملكها فيليب الأول وتـزوج إبنتـه وحصـل منه على الأذن بتجنيد الفرنجة ضد الأمبراطورية البيزنـطية كما تلقى المساعدة من الأميرة اديلا أرملة ستيفن بلوا ، وعبر بوهمند بحملتـه الصليبية بحـر الأدرياتيك وهـاجم السـاحـل البيزنـطي ، ورغم أن الأمبراطور الكسيوس نجح في إنزال الهزيمة ببوهمند وحملته عند قلعة دورازو سنة ٥٠١هـ/١١٠٨م(١) ، فإن الأنقسام أستمر داخل الجبهة النصرانية حتى تجسد وبلغ ذروتـه بعد نحو قرن من الزمان عندما أستولى الصليبيون على العاصمة البيزنطية بحملتهم الصليبية الرابعة .

وهكـذا كان كمشتكـين بن دانشمنـد أول من حقق إنتصارات كبرى على الصليبيين . وقـد توفي ـ رحمه الله ـ سنة ٤٩٩هـ/١١٠٥م(٢) ، بعد أن أثرت إنتصاراته في تاريخ الحروب الصليبية بكاملها ، وبعد أن مهد الطريق لمن أتى بعـده من القـادة المسلمين لحمل رأية الجهاد في سبيل الله دفاعاً عن الإسلام والمسلمين أمام الغزوات الصليبية المتلاحقة .

---

(١) William of Tyre: vol. I, pp. 460-462; Anna Comnena: The Alexiad, pp. 389, 412-434; Ordericus Vitali: op. cit, vol. IV, pp. 210-213; Fink: op. cit, pp. 390-392.

(٢) أحمد بن لطف الله المولوى ، صحائف الأخبار ، ورقة ٥٩٥ب .

الملاحق

الملحق الأول

ذكر ظفر المسلمين بالفرنج[1]

في ذي القعدة من هذه السنة لقي كمشتكين بن الدانشمند طايلو ـ وإنما قيل له ابن الدانشمند لأن أباه كان معلماً للتركمان وتقلبت به الأحوال ، حتى ملك ، وهو صاحب ملطية وسيواس وغيرها ـ بيمند الفرنجي[2] ، وهو من مقدمي الفرنج ، قرب ملطية ، وكان صاحبها قد كاتبه ، وأستقدمه إليه ، فورد عليه خمسة آلاف فلقيهم ابن الدانشمند فأنهزم بينمد وأسر .

ثم وصل من البحر سبعة قمامصة[3] من الفرنج ، وأرادوا تخليص بينمد ، فأتوا إلى قلعة تسمى أنكورية[4] ، فأخذوها وقتلوا من بها من المسلمين ، وساروا إلى قلعة أخرى فيها إسماعيل بن الدانشمند ، وحصروها ، فجمع ابن الدانشمند جمعاً كثيراً ولقي الفرنج ، وجعل لهم كميناً ، وقاتلهم وخرج الكمين عليهم ، فلم يفلت أحد من الفرنج وكانوا ثلاثمائة ألف ، غير ثلاثة آلاف هربوا ليلاً ، وأفلتوا مجروحين .

وسار ابن الدانشمند إلى ملطية وأسر صاحبها ، ثم خرج إليه عسكر الفرنج من أنطاكيه ، فلقيهم وكسرهم ، وكانت هذه الوقائع في شهور قريبة .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ١٠/٣٠٠ حوادث سنة ٤٩٣هـ .

(٢) هو الأمير بوهمند النورماني .

(٣) القمص المقصود به الأمير الصليبي الذي يحمل لقب كونت .

(٤) هي أنقرة .

الملحق الثاني(١)

ولما مات الملك دانشمند طايلو قام مقامه ابنه الملك كمشتكين بن دانشمند ، وكان يقال له أيضاً دانشمند ، وهو الذي قاتل الفرنج غير مرة وأنتصر عليهم في أغلب الحروب وأسر مقدمهم بيمند في سنة ٤٩٣هـ ، وبقي في أسره وحبسه إلى أن أطلقه في سنة ٤٩٥هـ بعد أن أخذ منه مائة ألف دينار ، وشرط عليه أن يطلق أولاد ياغي سيان ، وأهله وأصحابه من الأسر ، وكانوا قد أسروا لما أخذ الفرنج أنطاكية ومات صاحبها ياغي سيان المذكور . وكان الملك كمشتكين لما أسر بيمند في سنة ٤٩٣هـ وهزم الفرنج ، جاء عليه سبعة قمامصة في جمع عظيم ، زهاء ثلثمائة ألف مقاتل من الفرنج وغيرهم من أمم أهل الكفر ، فتنحى الملك كمشتكين من بين أيديهم حتى ساروا وأخذوا أنكورية وقتلوا من بها من المسلمين ثم حاصروا قيسارية(٢) ، فاستنجد الملك كمشتكين قلج أرسلان بن قتلمش وغيره من أصحاب الأطراف ، فسار معهم إلى قتال الفرنج وهزمهم بعون الله تعالى ولم يفلت من أهل الكفر إلا القليل .

---

(١) أحمد بن لطف الله المولوي : صحائف الأخبار ورقة ٥٩٥ب .

(٢) قيسارية هي غير قيسارية الشام ، ويقال لها أيضاً قيصرية نسبة إلى قيصر ، وهي مدينة كبيرة في آسيا الصغرى ذات أشجار وبساتين وفواكه وعيون تدخل إليها . وبداخلها قلعة حصينة أصبحت فيما بعد ثاني مدن سلاجقة الروم بعد قونية وإلى الشرق منها مدينة سيواس وبين قيسارية وأقسرا أربعة مراحل .
انظر : أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص٣٨٢-٣٨٣ ؛ ياقوت : معجم البلدان ؛ لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص١٧٨ .

الملحق الثالث

بوهمند أمير أنطاكية يقع أسيرا عند ملطية(١)

بينما كانت هذه الحوادث تجرى في بيت المقدس ، حدث أن أرمنياً جديراً بالثقة ، أسمه جبريل ، كان حاكماً على مدينة ملطية التي تقع بالجزيرة وراء الفرات . وخاف هذا الرجل من غارة التركمان ذوى العنف ، وعرف أنه لا يستطيع أن يقاوم فأرسل مبعوثيه إلى بوهمند أمير أنطاكية ملتمساً منه أن يأتي حالاً ليملك المدينة فوراً طبقاً لشروط معينة لا لبس فيها وعند تسلُّم الرسالة أسرع بوهمند الشجاع يجيب على النداء . وحضر بأتباعه الأعتياديين ، وعبر الفرات ودخل الجزيرة ، وعندما وصل تقريباً هدفه هوجمت سريته على حين غرة من جانب مرزبان تركي يدعى دانشمند وقد تسلم هذا الزعيم معلومات عاجلة عن زحفهم ، فأنقض عليهم إنحداراً بهجوم ضار مفاجىء وأمسك بهم على حين غرة . وسقط البعض بالسيف ، وهلم جرا ، فالعاجز لا يقدر على التوقف قبالة جيش ضخم ، فأتخذ الفرار ، أما السيد بوهمند نفسه ، وبسبب خطاياه ، فقد أسر من جانب العدو ، وحمل إلى السلسلة الجبلية ، وإبتهاجاً بهذا النجاح ، ومستغلاً الأعداد الضخمة من الجيش ، التي كان يقودها ، ألقى المرزبان الحصار على ملطية ، وقد أمل أن يأخذها مباشرة ، لكن الهاربين الذين فروا ، أفلحوا في الوصول إلى الرها حيث رووا للكونت(٢) قصة الحادث العاثر الذي أصاب الأمير وأصابهم أنفسهم .

وعندما سمع الحاكم الشجاع قصتهم ، تعاطف مع الأمير وكأنه أخوه وتأثر كثيراً بالكارثة المشؤومة ، وبالتالي العواقب المحفوفة بالمخاطر . وأستدعى بسرعة

---

(١) ترجمنا هذا النص من :

William of Tyre: A History of Deeds Done Beyond The Sea. vol. I, pp. 411-412.

(٢) هو بلدوين البولوني الذي أُستُدعى بعد هذه الحادثة مباشرة ليخلف أخاه جودفرى على بيت المقدس وأصبح يعرف باسم الملك بلدوين الأول .

قواته الأحتياطية من الفرسان ، وأخذ المؤن الضرورية للزحف وبدأ الرحلة بكل سرعة .

وتقع ملطية المذكورة آنفاً على مسافة ثلاثة أيام من الرها ، وهذه المسافة قطعها الكونت بسرعة عظيمة ، وعندما أصبح قريباً من المدينة ، وسمع دانشمند بإقترابه ، فرفع الحصار وأخذ أسيره بوهمند الذي أصبح سجيناً في الجبال وإنسحب دانشمند إلى الجزء الأبعد من مملكته حتى يتجنب المعركة .

ولما عرف أن الدانشمند تنبه إلى خطر قدومه ، وتخلى عن الحصار فتعقبه الكونت لمدة ثلاثة أيام ، وأخيراً ، بأية طريقة ، أدرك أنه لا يستطيع أن يناله بهذه الطريقة ، فعاد إلى ملطية ، فأقام له جبريل ترحيباً فخماً وإستضافه بإجلال كبير . ثم سلم المدينة لبلدوين على نفس الشروط التي قدمها لبوهمند . وبعد هذا الذي أنجزه عاد الكونت إلى بلاده .

الملحق الرابع(١)

الحملة اللمباردية وهزيمتها عند مرسيفان

وبينما كانت هذه الأشياء تجرى أصبح ضرورياً أن يختار خليفة لجودفرى - الذي بإعتباره ملكاً قد توفي - وحالاً أرسل اللاتين في بيت المقدس إلى القديس جيليس(٢) بطرابلس مطالبين بأن ينصبوه على العرش لكنه رفض أن يقوم بالرحلة إلى ذلك المكان(٣) ، وأخيراً ذهب إلى العاصمة(٤) . وعندما أدرك الناس في بيت المقدس أنه لا يزال عنيداً ، أرسلوا إلى بلدوين وأختاروه ملكاً . وقد أستقبل دى سانجيل بسرور من جانب الأمبراطور . ولكن عندما سمع الكسيوس إرتقاء بلدوين أحتفظ به في القسطنطينية . وحدث في هذه اللحظة أن وصل جيش من النورمان(٥) بقيادة كونت بياندرات وأخيه . وفي الأحتفالات العديدة نصحهم الأمبراطور أن يتبعوا نفس الطريق ، مثل أسلافهم ، عبر المناطق الساحلية ، والأجتماع ببقية الجيش اللاتيني ، فلم يصغوا كارهين أن يتحدوا بالفرنسيين ، وأرادوا أن يسلكوا طريقاً أخرى إلى الشرق ذاهبين في خط مستقيم إلى خراسان(٦) والتي أرادوا أن يفتحوها . وعرف الأمبراطور أن خطتهم سوف تكون مشؤومة تماماً ، فقد كان يكره أن يرى ذلك الجيش الكثير يلقى الهلاك (فقد كانوا خمسين ألف فارس ومئة ألف راجل) ، ولما كان إقناعهم مستحيلاً ، فقد إنتهج

---

(١) ترجمنا هذا النص من كتاب : Anna Comnena : The Alexiad, pp. 355-357. .

(٢) هو الأمير ريموند الصنجيلي (ريموند دى سانجيل) أمير تولوز .

(٣) كان ريموند قد رفض ترشيح الصليبيين له ليصبح ملكاً على بيت المقدس بعد الأستيلاء عليه قائلاً أنه لا يرغب أن يحكم في الموضع الذي عانى فيه المسيح العذاب عند صلبه - حسب زعمه - انظر : باركر : الحروب الصليبية ص٣٧ .

(٤) المقصود العاصمة البيزنطية القسطنطينية .

(٥) تطلق أنا على اللمبارديين اسم النورمان .

(٦) تطلق أنا على جبال بنطس في أعالي الأناضول خطأ اسم خراسان شأنها في ذلك شأن الصليبيين .

الأمبراطور مسلكاً جديداً بناء على طلبهم ، فأمر دى سانجيل وتزيتاس ليذهبا معهم فكانا يقدمان لهم النصيحة المناسبة ، وبقدر ما يستطيعان أن يمنعاهم من المغامرات . فعبروا المضايق إلى كيبوتوس Kibotus وأسرعوا صوب أرمينياك(١) ، موضوع الكلام ، وأستولوا على أنقرة بهجوم مفاجىء . ثم أجتازوا نهر هاليس ، فوصلوا منطقة صغيرة مملوكة للرومان ، وثقة في النورمان بوصفهم نصارى ، فإن قسوس المنطقة بثيابهم الدينية وحاملين الأنجيل والصلبان ، أقتربوا منهم ، ولكن الغزاة لم يذبحوا فقط الرهبان بل ذبحوا بوحشية سائر السكان النصارى . وعلاوة على ذلك فقد صرف النورمان نظرهم عن عقولهم تماما ، وواصلوا زحفهم بإتجاه أماسيا . أما الأتراك الماهرون في الحرب فقد أحتلوا كل القرى الواقعة على طريقهم وأحرقوا جميع المؤن والطعام قبل أن يصلوا إليها ، ثم هاجموهم بسرعة ، وكان يوم الأثنين الذي غمرهم فيه الأتراك ، ففي ذلك اليوم عسكروا في مكان ما في منطقة أماسيا ، وجعلوا حولهم سوراً من أمتعتهم ، وفي يوم الثلاثاء أعيدت المعركة فطوق الأتراك مخيم النورمان ولذلك فإن فرصة التماس العلف والطعام منعت عنهم ، فلم يجدوا السبيل لخيولهم ودواب الأمتعة كي تشرب والآن شاهد الكلت(٢) بأعينهم أن الإبادة تنتظرهم . وفي اليوم التالي (الأربعاء) وهم مسلحين تماماً وغافلين عن سلامتهم الشخصية ، أنهكموا في معركة رهيبة مع البرابرة ، إذ أن الأتراك تقدموا متماسكين شاهرين سيوفهم ، وقاتلوا إلى أن أغلقوا الأتجاهات ، أما النورمان فقد أرغموا على الهرب إلى الخلف بإتجاه مخيمهم ، وخلال هروبهم إلى معسكرهم تشوفوا إلى نصيحة ، غير أن أروع الأباطرة وضع أمامهم الطريق الأفضل ، وهم الذين رفضوا أن يسمعوا ، ولم يكن معهم أي شيء إضافي ، كان لديهم فقط سبيلاً واحداً وهو أن يلتمسوا الرأي من سانجيل وتزيتاس ، وفي الوقت نفسه بحثوا ما إذا كانت هناك أية أرض في تلك المنطقة تحت سيطرة الأمبراطور حيث يمكنهم أن يجدوا ملجئاً . وفي النهاية تركوا الأمتعة

---

(١) تقصد آسيا الصغرى .

(٢) تقصد بالكلت جموع اللمبارديين وبقية عناصر الصليبيين .

والخيام وجميع المشـاة وأمتـطوا خيولهم وعـدوا بسرعة بقدر ما يستطيعون بإتجاه المناطق الساحلية من ارمينياك وبافرا(١) . أما الأتراك فقد جعلوا الهجوم شاملاً على معسكرهم ، وأخذوا من غير تردد كل شيء ، وفيما بعد طاردوا المشاة وقبضوا عليهم ، وذبحـوهم عن آخـرهم ما عدا حفنة من الرجال حملوا إلى خراسان (بنطس) حتى يعرضوا هناك . ونظراً للأعمال الجريئة الشجاعة للأتراك في قتالهم ضد النورمان ، فقد أتخذ ريموند سانجيل وتزيتاس طريقهما نحو القسطنطينية مع القليل من الباقين على قيد الحياة من فرسان وقد أستقبلهم الأمبراطور هناك ، ومقدماً لهم بعد ذلك الهدايا الوافرة من النقود ، وتركهم حتى يستريحوا وسألهم إلى أين يرغبون أن يذهبوا في المستقبل ، فأختاروا بيت المقدس ، فأجيب مطلبهم بالتـمام وزودوا بسفينـة وودعـوا بسخـاء عظيم . كما غادر سانت سانجيل القسطنطينية ، لينضم إلى جيشة عند طرابلس متطلعاً بلهفة إلى طريقة يستولى بها على المدينة .

(١) يقع ميناء بافرا عند مصب نهر هاليس في البحر الأسود .

مصادر ومراجع البحث

أولاً : **المصادر والمراجع العربية والمعربة :**

- ابن الأثير الجزري (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبدالواحد الشيباني الملقب بعز الدين ت سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) .

١ـ الكامل في التاريخ ، طبعة . بيروت ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م عن طبعة ليدن سنة ١٨٥١-١٨٧٦م .

٢ـ التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ، تحقيق عبدالقادر أحمد طليمات ، القاهرة ١٩٦٣م .

- ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد توفي سنة ٨٠٨هـ ـ ١٤٠٥م) العبر وديوان المبتدأ والخبر (تاريخ ابن خلدون) بيروت ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

- ابن شداد (عز الدين أبو عبدالله محمد بن علي بن إبراهيم الحلبي توفي سنة ٦٨٤هـ) ،

الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة جـ/الأول ، مكتبة الفاتيكان رقم ٧٣٠ .

- ابن القلانسي (أبو يعلى حمزة بن القلانسي توفي سنة ٥٥٥هـ) ،

ذيل تاريخ دمشق ـ بيروت ١٩٠٨م .

- ابن العديم (كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله ، توفي سنة ٦٦٠هـ ـ ١٢٦٢م) .

زبدة الحلب من تاريخ حلب ، تحقيق سامي الدهان ، دمشق ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م .

- ابن واصل (جمال الدين بن سالم بن واصل توفي سنة ٦٩٧هـ) ،

مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، جـ/١ تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٥٣م .

- أبو الفدا (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماه ، ت ٧٣٢هـ/١٣٢٢م .
تقويم البلدان ، باريس ١٨٤٠م .
- أسامة بن منقذ (مؤيد الدولة أيامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر ابن منقذ ت ٥٨٤هـ) .
الأعتبار ، تحقيق فيليب حتى ، د. ت. ط. جامعة برنستون الولايات المتحدة ١٩٣٠م.
- آقسرائي (محمود بن محمد اقسرائي) ،
مسامرة الأخبار ومسايرة الأخيار ، تصحيح عثمان توران أنقرة ١٩٢٣م .
- باركر (ارنست) ،
الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريني بيروت ، ١٩٦٧م .
- الحموى (شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموى ت ٦٢٦هـ) ،
معجم البلدان ، بيروت ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
- الذهبي (شمس الدين أبو عبدالله بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبدالله الذهبي ت ٧٤٨هـ) ،
دول الإسلام تحقيق فهيم شلتوت ، محمد مصطفى إبراهيم ، القاهرة ١٩٧٤م .
- سعيد عبدالفتاح عاشور ،
الحركة الصليبية ، جزآن ، القاهرة ١٩٨٢م .
- السيد الباز العريني ،
الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .
- القزويني (زكريا بن محمد بن محمود ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م) ،
آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت ١٩٦٠م .
- كوبلاند ج . و. وفينوجرادوف . ب .
الأقطاع والعصور الوسطى في غرب أوربا ، ترجمة محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ، ١٩٥٨م .

- كي ليسترنج ،

بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة كوركيس عواد ، وبشير فرنسيس ، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

- مسفر سالم بن عريج الغامدي ،

الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي قبل قيام الأسرة الأيوبية في مصر ، (٤٩١-٥٦٩هـ ، ١٠٩٧-١١٧٣م) .

جدة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م

- مسكوية (أبوعلي الخازن أحمد بن محمد بن يعقوب ت ٤٢١هـ/١٠٣٩م) ،

تجارب الأمم ، جـ ٢ ، القاهرة ١٣٣٣هـ/١٩١٥م .

- مؤلف مجهول ،

أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ترجمة حسن حبشي القاهرة ١٩٥٨م.

- المولوى (أحمد بن لطف الله المولوى ، كان حياً سنة ١١١٦هـ) ،

صحائف الأخبار في وقائع الأعصار ، مكتبة أحمد الثالث ، باستامبول رقم ١/١٢٥٤ .

ثانياً : المصادر والمراجع الأجنبية :

- Albert of Aix:
  Liber Christianae Expeditonis in R.H.C. Occ. IV.
- Anna Comnena:
  The Alexiad of Anna Comnena, translated by E.R.A. Sewter, London, 1969.
- Cahen, Claud:
  La Syrie du Nord al, Epoque des Croisades Paris 1940.
-The Cambridge History of Islam, Vol. I, A, Cambridge, 1980.
- The Cambridge Mwdieval, History, vol. V,
  Contest of Empire and Papacy, London, 1979.
- Duncalf, Frederic:
  The Councils of Piacenza and Clermont in the History of the Crusades, vol. I, edit.
  Baldwen, London, 1969, pp. 220-252.
- Fink, Harold. S:
  The Foundation of the Latian States 1099-1118.
  in the History of the Crusades vol. I, edit.
  Baldwen, London 1969, pp. 368-409.
- Fulcher of Chartres, A History of the Expedition to Jerusalem, Kroxville, 1969.
- Gate, J.L:
  The Crusade of 1101, in the History of the Crusades, Vol. I, edit. Baldwen, London 1969. pp. 343-367.
- Lang, David Marshall:
  Armenia Cradle of Civilization, London, 1978.
- Louise and Jonathan Riley - Smith:
  The Crusades, Idea and Reality 1095-1274
  Document of Medieval History 4, London 1981.
- Matthew of Edessa:
  Chronique, Paris 1858.

- Mayre. Hans. E:

  The Crusades, Translated by John Gillingham, Oxford University press 1972.

- Michael Le Syrian:

  Chronique, ed, en Francais, Par J.B. Chabot, 4 tomes, Paaris, 1899-1924.

- Ordericus Vitalis:

  Ecclesiastical History of England and Normandy, translated by Thomas Forester, 4 vols., London 1853-1860.

- Ostrohorsky, George:

  History of the Byzantin State, translated by Joan Hussey, Oxford, 1968.

- Painter, Sidney:

  A History of the Middle Ages, 284-1500, London, 1975, 1976.

- Runciman, Steven:

  A History of the Crusades, 3 vols, Cambridge, 1968.

- Stevenson, L.M:

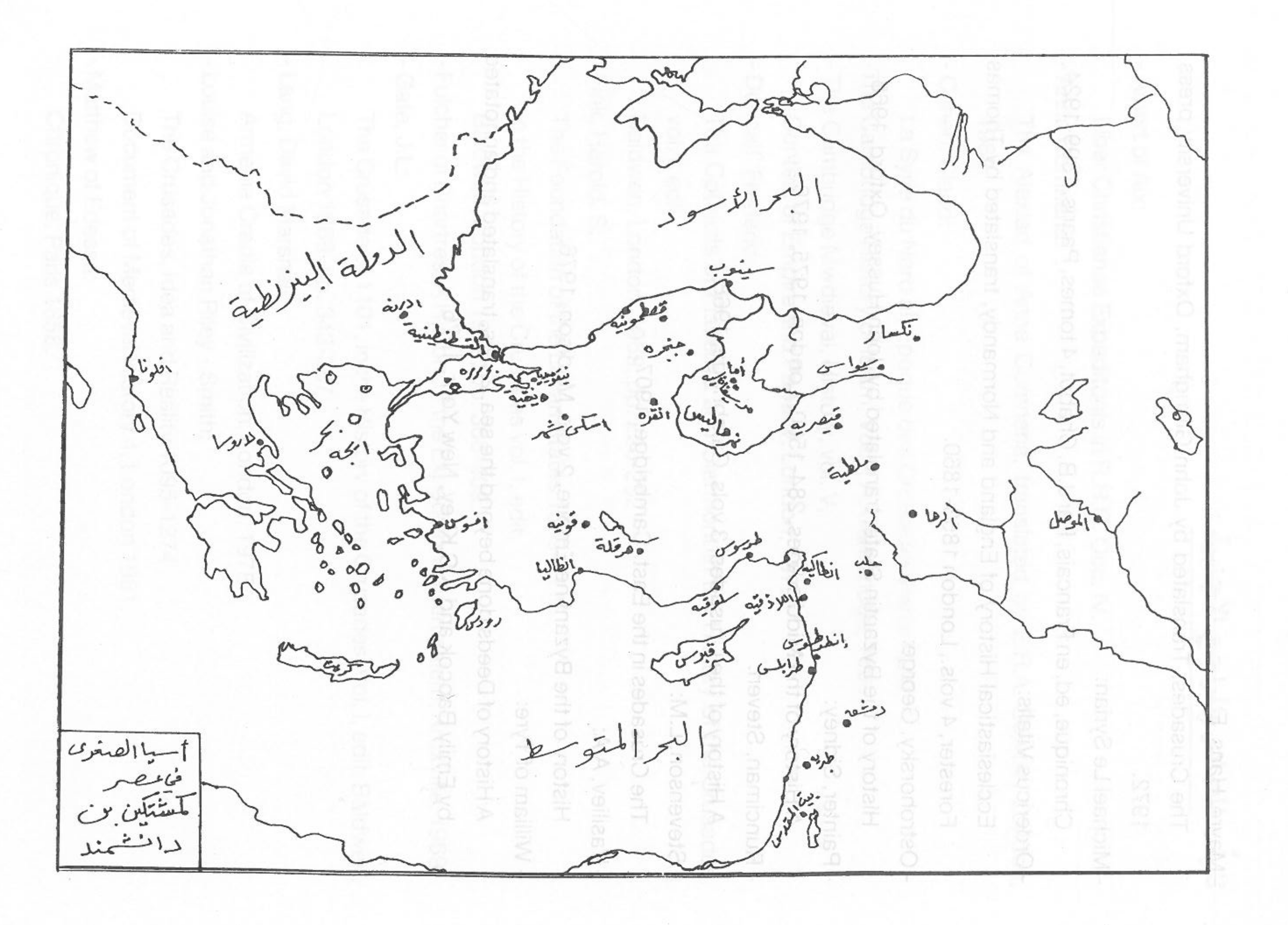
  The Crusades in the East, Cambridge, 1907.

- Vasiliev, A.A:

  History of the Byzantine Empire, 2 vols, Madison, 1976.

- William of Tyre:

  A History of Deeds done beyond the sea. 2 vols, translated and annotated by Emily Babcok and A.C.Khey, New York, 1976.


البحر الأسود
الدولة البيزنطية
البحر المتوسط
أسيا الصغرى
في عصر
كمشتكين بن
دانشمند
سينوب
قسطمونية
نكسار
سيواس
أماسية
قيصرية
نهر هاليس
أنقره
اسكي شهر
ملطية
الرها
الموصل
قونية
هرقلة
طرسوس
حلب
سلوقية
اللاذقية
انطرطوس
طرابلس
قبرص
دمشق
طبرية
بيت المقدس
رودس
كريت
افسوس
القسطنطينية
نيقية
ادرنة
افلونا

فهرس المحتويات

من منشوراتنا

١ ـ **الواجبات المتحتمات المعرفة** ، لشيخ الإسلام : محمد بن عبدالوهاب وأحفاده ، جمع : عبدالله بن إبراهيم القرعاوي .

٢ ـ **العقيدة الطحاوية** ، تعليق : فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز .

٣ ـ **الإيمان وأهميته في حياة الإنسان** ، لأبي عاصم الدكتور عبدالعزيز بن عبدالفتاح القارىء ، الأستاذ المشارك بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

٤ ـ **فقه النوازل (قضايا فقهية معاصرة)** ، لفضيلة الشيخ : الدكتور بكر بن عبدالله أبو زيد .

٥ ـ **المعجم المختص للذهبي** ، تحقيق الدكتور : محمد الحبيب الهيلة ، الأستاذ بجامعة أم القرى بمكة .

٦ ـ **معجم شيوخ الذهبي ١/٢** ، تحقيق الدكتور : محمد الحبيب الهيلة ، الأستاذ بجامعة أم القرى بمكة .

٧ ـ **زاد المسلم اليومي** ، تأليف : فضيلة الشيخ عبدالله بن جارالله بن إبراهيم الجارالله ، تحقيق وتعليق : الناشر مكتبة الصديق .

٨ ـ **القرانيون وشبهاتهم حول السنة** ، إعداد الدكتور : خادم حسين بخش ، الأستاذ بجامعة أم القرى (الطائف) .

٩ ـ **أدب القاضي لابن القاص** ، تحقيق دكتور : حسين الجبوري .

١٠ ـ **كشاف تحليلي للمسائل الفقهية في تفسير القرطبي** ، إعداد : مشهور حسن سلمان وجمال عبداللطيف الدسوقي .

١١ ـ **أباطيل الأباطيل** ، تأليف : حسني شيخ عثمان .

١٢ ـ **الأرسال (بحث فقهي مقارن)** ، تأليف دكتور : حسين الجبوري ، الأستاذ بجامعة أم القرى بمكة .

١٣ ـ **الوصية الكبرى** ، تحقيق وتعليق الأستاذين : محمد عبدالله النمر ـ عثمان جمعه ضميرية .

١٤ ـ تفسير المعوذتين ، لابن القيم الجوزية ، تحقيق : مصطفى بن العدوي .

١٥ ـ في الغزو الفكري ، تأليف الأستاذ : نذير حمدان .

١٦ ـ مستشرقون (سياسيون ـ جامعيون ـ مجمعيون) ، تأليف الأستاذ : نذير حمدان .

١٧ ـ المشايخ والأستعمال ، تأليف : حسني شيخ عثمان .

١٨ ـ أختي المسلمة من أمرك بالحجاب ؟

١٩ ـ برنامج علمي للمتفقهين ، تأليف : د. عبدالعزيز عبدالفتاح القارىء .

٢٠ ـ نزهة المشتاق إلى جنة الخلّاق ، تأليف : ربيع بن محمد السعودي .

٢١ ـ موقف أصحاب الأهواء الفرق من السنة النبوية ورواتها ، تأليف : د. محمد بن مطر الزهراني .

٢٢ ـ من أعلام أهل السنة والجماعة (عبدالله بن المبارك) ، تاليف : د. محمد بن مطر الزهراني .

٢٣ ـ البطل المسلم كمشتكين بن دانشمند بطل الانتصارات الأولى على الصليبيين ، تأليف : د. علي بن محمد الغامدي .

تحت الطبع

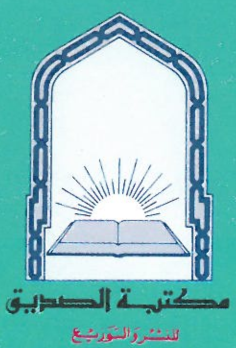
١ ـ نبذة في الفرق الفرق ، تأليف : د. سفر بن عبدالرحمن الحوالي .

٢ ـ مجمع البحرين في زوائد المعجمين (دكتوراه) ، للهيثمي ، تحقيق : د. حافظ الحكمي .

٣ ـ الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات (ماجستير) ، أ. شمس الدين بن محمد أشرف الأفغاني .

٤ ـ سلسلة بروتكولات حكماء صهيون وخطرها على الدعوة الإسلامية (ماجستير) ، أ. مبروك مصطفى عبد السميع .

٥ ـ أحكام الجراحة الطبية والآثار المترتبة عليها (دكتوراه) ، د. محمد بن محمد المختار الشنقيطي .



مكتبة الصديق

للنشر والتوزيع

ص.ب ١٠٤ ـ تليفون ٧٣٢٣٣٣٧

الطائف ـ المملكة العربية السعودية

المطبعة الأهلية للأوفست بالطائف

☎ ٧٣٢٦٦٦٠ فاكس: ٧٣٣٥٤٦٥